جان بول سارتر

موتى بلا قبور

و

البغي الفاضلة

مسرحيتان

ترجمة

الدكتور سهيل ادريس
المحامي جلال مطرجي

١٠

روائع المسرح العالمي

منشورات دار الآداب - بيروت

Jean - Paul Sartre

Morts sans sépulture

et

La Putain Respectueuse

الطبعة الاولى

بيروت ، نيسان ١٩٥٦

موتى بلا قبور

مسرحية في فصلين واربع لوحات

الاشخاص

فرنسوا
سوربيه
كانوري
لوسي
هنري
جندي اول (من المليشيا)
جان
كلوسه
لاندريو
بلوران
كوربيه
جندي ثانٍ (من المليشيا)

الديكور

اللوحة الاولى :

عُلِيَّة وكل ما يمكن ان تحتويه من اشياء غريبة : عربة ولد، حقيبة قديمة . الخ ..... و « شخص » تستعمله الخياطات .

اللوحة الثانية :

قاعة درس مع صورة لـ « بتان » معلقة على الجدار .

اللوحة الثالثة :

علية اللوحة الأولى .

اللوحة الرابعة :

قاعة درس اللوحة الثانية .

البسة جنود المقاومة والمليشيا

اللوحة الأولى

عُليّة تضيئها كوة في السقف . امتعة غريبة مبعثرة هنا وهناك : حقائب ، موقد قديم ، شخص تستعمله الخياطات . كانوري وسوربيه جالسان ، احدهما على حقيبة والآخر على منصب قديم . لوسي جالسة على الموقد . انهم مقيدون بالسلاسل . فرانسوا يذرع الغرفة جيئة وذهاباً . إنه هو ايضاً مقيد . هنري ينام مستلقياً على الأرض .

المشهد الأول

كانوزي ، سوربيه ، فرنسوا لوسي ، هنري .

فرنسوا : اتراك لن تتكلم اخيراً ؟

سوربيه : (رافعاً رأسه) وما الذي تريد ان يقال ؟

فرنسوا : اي شيء ، شرط ان يحدث ضجة .

(تسمع فجأة موسيقى عامية صاخبة صادرة عن راديو الطابق السفلي) .

سوربيه : تلك هي ضجة .

فرنسوا : ليست هذه . فأنهـا « ضجتهم » (يستأنف مشيته ثم يتوقف فجأة) ها !

سوربيه : وماذا هناك ايضاً ؟

فرنسوا : انهم يسمعوننى ويقولون فيما بينهم : هـوذا اولهم تثور اعصابـه .

كانوري : ولكن لا تدع اعصابك تثور. اجلس وضع يديك على ركبتيك يخف الم قبضتيك . ثم الزم الصمت وحـاول النوم او فكّر .

فرنسوا : وما جدوى ذلك ؟

(كانوري يهز كتفيه . فرنسوا يستأنف مشيته) .

سوربيه : فرنسوا !

فرنسوا : ماذا ؟

سوربيه : ان حذاءك يطقطق .

فرنسوا : اني أتعمّد ان يطقطق . (هنيهة . يتقدم وينتصب امام سوربيه) ولكن بمَ عساك تفكر ؟

سوربيه : (رافعاً رأسه) اتريد ان اقول لك ذلك ؟

فرنسوا : (ينظر اليه ويتراجع قليلا) كلا ! لا تقله .

سوربيه : اني افكر في الصغيرة التي كانت تصرخ .

لوسي : (تخرج فجأة من حلمها) — اية صغيرة ؟

سوربيه : صغيرة المزرعة . لقد سمعتها تصرخ عندما كانوا يقتادوننا . وكانت النار قد شبت في السلم .

لوسي : صغيرة المزرعة ؟ ما كان ينبغي ان تقول لنا ذلك .

سوربيه : لقد مات كثير غيرها من الاولاد والنساء . ولكنني لم اسمعهم يموتون . اما الصغيرة فكأنها لا تزال تصرخ . ولم يكن بوسعي ان احتفظ لنفسي بصرخاتها .

لوسي : كانت في الثالثة عشرة من عمرها . وهي انما ماتت من اجلنا .

سوربيه : انما ماتوا جميعاً من اجلنا .

كانوري : (لفرنسوا) كان خيراً لك ان لا تتكلم .

فرنسوا : اننا لن نتباطأ على اي حال . فلعلك ترى بعد حين

ان الحظ حليفهم .

سوربيه : انهم لم يقبلوا ان يموتوا .

فرنسوا : وهل تراني انا قد قبلت ؟ انه ليس ذنبنا ان تكون القضية قد اخفقت .

سوربيه : بلى ! انه ذنبنا .

فرنسوا : لقد اطعنا الأوامر .

سوربيه : اجل !

فرنسوا : لقد قالوا لنا : اصعدوا هناك واحتلوا القرية فقلنا لهم ان هذا لسخيف ،فسيبلغ الألمان ذلك خلال الأربع والعشرين ساعة . فأجابونا : اصعدوا على كل حال واحتلوها . عنـد ذلك قلنا « حسناً » وصعدنا ، فأين هو ذنبنا ؟

سوربيه : كان ينبغي ان ننجح .

فرنسوا : لم يكن بوسعنا ان ننجح .

سوربيه : اعرف ذلك ، ولكن كان يجب ان ننجح (هنيهة) ثلاثمئة . ثلاثمئة لم يقبلوا ان يموتوا، وقد ماتوا من اجل لا شيء . انهم يرقدون بين الأحجار ، تسوّدهم اشعة الشمس . لا بدّ انهم يُروَن من جميع النوافذ . من اجلنا ! اجل من اجلنا لم يبقَ في هذه القرية الا جنود من المليشيا وموتى وأحجار . ما اقسى ان يموت الأنسان وفي اذنيه هذه الصرخات !

فرنسوا : (صارخاً) دعنا من امواتـك . انا اصغركم سناً . وكل ما عملت انني اطعت . اني بريء ! بريء ! بريء !

لوسي : (برفق وقد حافظت على هدوئهـا من اول المشهد السابق الى

آخره) – فرنسوا !

فرنسوا : (دهشاً وبصوت خافت) ماذا ؟

لوسي : تعال اجلس الى جانبي يا اخي الصغير (يتردد – فتعيد الكرة ممعنة في الرفق) تعال (يجلس . تمر يديها المقيدتين بصعوبة على خده) ما أشد حرارتك ؟ اين منديلك ؟

فرنسوا : في جيبي ولا أستطيع الوصول اليه .

لوسي : في هذا الجيب ؟

فرنسوا : اجل !

(لوسي تمد يدها الى جيب سترته وتتناول منه بصعوبة منديلاً تمسح بـه وجهه) .

لوسي : انك تسبح في العرق وترتجف ، فلا ينبغي ان تمشي هذه المدة الطويلة .

فرنسوا : حبذا لو تمكنت من خلع سترتي ...

لوسي : لا تفكر في هذا الأمر ما دام مستحيلاً (يشد عـلى السلاسل) لا ! لا تأمل ان تحطمها ، فان الأمل شاقّ . حافـظ على هدوئك وتنفس برفق. تظاهر بأنك ميت. فأنا ميتة وهادئة. انني ادّخر قواي .

فرنسوا : ولماذا ؟ التتمكني عما قليـل من الصراخ بصورة أعنف ؟ يا له من توفير تافه ! لم يبق الا وقت قليل ، وبودي ان اكون في آن واحد في كل مكان . (يهم بأن ينهض) .

لوسي : ابق هنا .

فرنسوا : ينبغي ان ادور لأنني حالما اتوقف عن الحركـة ،

فان فكري هو الذي يأخذ في الدوران، وانا لا اريد ان افكر.

لوسي : مسكين انت ايها الصغير .

فرنسوا :(يتراخى امام ركبتي لوسي)– لوسي ! ان كل شيء على غاية من القسوة ! انني لا استطيع ان انظر الى وجوهكم فهي تخيفني .

لوسي : ضع رأسك على ركبتي . اجل ، كل شيء على غاية من القسوة ، وانت على غاية من الصغر . الا ليت احداً يتبسم لك ويقول : ايها المسكين الصغير . كنت فيما مضى احمل عنك اتراحك ، ايها المسكين الصغير . ايها المسكين الصغير (تنهض فجأة) بتّ لا أطيق ! لقد جفت مآقي من العذاب ، فبتّ لا استطيع البكاء .

فرنسوا :لا تتركيني وحيداً، فان افكاراً اخجل منها تراودني.

لوسي : اسمع . ان هناك « من » يستطيع ان « يساعدك » ... فأنا لست وحيدة ... (هنيهة) ان جان معي ؛ فلو كان بوسعك ...

فرنسوا : جان ؟

لوسي : انهم لم يعتقلوه . انه يتوجه نحو غرنوبل ، وهو الذي سيبقى وحده منا على قيد الحياة غداً .

فرنسوا : وما عساه فاعلٌ بعد ذلك ؟

لوسي : انه سينضم الى الآخرين، وسيستأنفون العمل في مكان آخر . ثم تنتهي الحرب ويعيشون في باريس بهدوء ، وسيكون لديهم صور حقيقية على هويات حقيقية . وسيدعوهم الناس بأسمائهم

الحقيقية .

فرنسوا : وماذا بعد ؟ لقد واتاه الحظ . فما شأني في ذلك ؟

لوسي : انه يهبط عَبْر الغابة . هناك في الأسفل اشجار من الحور على طول الطريق . انه يفكر بي . لم يبق في العالم غيره من يفكر بي بمثل هذه الرقة . وانت ايضاً يفكر بك ، ويفكر بأنك مسكين صغير . حاول ان ترى نفسك بعينيه . ان بوسعه ان يبكي .

(تبكي)

فرنسوا : وانتِ ايضاً تستطيعين البكاء .

لوسي : انني ابكي بدموعه .

(هنيهة . فرنسوا ينهض فجأة)

فرنسوا : كفى تمثيلًا . فقد يؤول بي الأمر الى بغضه .

لوسي : لقد كنت تحبه مع ذلك .

فرنسوا : لم اكن احبه مثلك .

لوسي : اجل ! لم تكن تحبه مثلي .

(تسمع خطوات في الممشى . يُفتح الباب . لوسي تنهض فجأة . الجندي ينظر اليهم ثم يغلق الباب) .

سوربيه : (هازّاً كتفيه) انهم يلهون . فلماذا قمتِ ؟

لوسي : (عائدة الى الجلوس) لقد اعتقدت انهم اتوا ليقتادونا .

كانوري : لن يأتوا بهذه السرعة .

لوسي : ولم لا ؟

كانوري : انهم يخطئون اذ يعتقدون ان الأنتظار يثبط الروح المعنوية .

سوربيه : وهل هذا خطأ ؟ ليس من السهل الأنتظار حين تتقاذف الأنسانَ الأفكار .

كانوري : بالطبع . ولكن الوقت من جهة ثانية يتيح للمرء ان يستعيدَ روعه . لقد حدث لي ذلك المرة الأولى في اليونان في عهد « متاكساس » . لقد اتوا يلقون القبض عليّ في الساعة الرابعة صباحاً . ولو ضغطوا علي قليلًا لكنت تكلمت . ولكن المدهش انهم لم يسألوني شيئاً . وبعد انقضاء عشرة ايام لجأوا الى الأساليب المرهقة . ولكن ذلك جاء بعد فوات الاوان : لقد فاتهم تأثير المفاجأة .

سوربيه : وهل ضربوك ؟

كانوري : يا للهول !

سوربيه : بقبضاتهم ؟

كانوري : بقبضاتهم وبأرجلهم .

سوربيه : وهل حدثتك نفسك بالاعتراف ؟

كانوري : كلا ! ما داموا يضربون ، فالامر محتمل .

سوربيه : آه ! الأمر محتمل (هنيهة) ولكن حين ينهال ضربهم على عظام الساقين او المرفقين ؟

كانوري : كلا ! كلا! فالأمر يظل محتملًا (برفق) . سوربيه!

سوربيه : ماذا ؟

كانوري : ينبغي ان لا نخشاهم . فهم قاصرو الخيال .

سوربيه : انما اخشى نفسي أنا .

كانوري : ولكن لماذا ؟ فليس لدينا ما نقوله ، وهم يعرفون

كل ما نعلمه . اسمع (هنيهة) ليس الأمر قط كما يتصوره المرء .
فرنسوا : و كيف هو إذن ؟
كانوري : ليس باستطاعتي ان اقوله لك . اليك مثلاً كيف بدا لي الوقت قصيراً (يضحك) لقد كانت اسناني من شدة الانطباق بحيث انني بقيت ثلاث ساعات من غير ان استطيع فتح فمي . لقد حدث ذلك في « نوبلي »؛ وكان هناك شخص ينتعل حـــذاء عالياً على الطراز القديم ، رقيق الرأس. وكان يقذف به وجهي. وكان ثمة نساء يغنين تحت النافذة ، وقد حفظتُ الغناء .
سوربيه : في « نوبلي » ؟ وفي اي عام ؟
كانوري : عام ٩٣٦
سوربيه : نعم ، لقد مررتُ هناك . كنت قـد قدمت الى اليـونان عـلى الباخرة « تيوفيل غوتيه » ، و كنت اقوم برحلة كشفية. ولقد اتيح لي ان اشاهد السجن ، وكان ثمة اشجار صبّار ملتصقة بالجدران . لقد كنتَ اذن داخـل السجن ، بينما كنت انا في الخارج ؟ (يضحك) ان هذا لطريف !
كانوي : اجل ! انه طريف !
سوربيه : (فجأة) وما عساك فاعل لو داعبوك برقة ؟
كانوري : ماذا ؟
سوربيه : لو داعبوك بآلاتهم ؟ (كانوري يهز كتفيه) أتصور انني سأدافع عن نفسي بالتواضع . وفي كل دقيقة سأقول لنفسي: سأصبر دقيقة اخرى . ترى ، اتكون هذه طريقة حسنة ؟
كانوري : ليس ثمة من طريقة .

سوربيه : ولكن ما عساه يكون تصرفك انت ؟

لوسي : الا تستطيع الصمت ؟ انظر الى الصغير : أتعتقد انك تساعده على ان يكون رابط الجأش ؟ انتظر قليلاً يوافوك بالخبر اليقين .

سوربيه : دعينا وشأننا ! ليسدّ اذنيه اذا كان لا يود السمع .

لوسي : وهل ينبغي ان اسدّ أنا ايضاً اذني ؟ انا لا احب ان اصغي اليكما لأنني اخشى ان احتقركما . هل انتما بحاجة للتفوه بكل هذه الكلمات لتظلا رابطي الجأش؟ لقد رأيتُ الحيوانات تموت ، واود لو اموت مثلها : بصمت !

سوربيه : ومن يحدثك عن الموت ؟ اننا نتحدث فيما عساهم فاعلون بنا قبل ذلك . فمن الواجب ان نستعد للأمر .

لوسي : انا لا اريد ان استعدّ له، فلماذا احيا مرتين هذه الساعات التي ستأتي ؟ انظر الى هنري : انه ينام ، فلماذا لا ننام مثله ؟

سوربيه : أنام ؟ ثم يأتون فيوقظونني وهم يهزونني ؟ كلا ! لا اريد ذلك ، فليس لدى وقت أضيعه .

لوسي : فكر اذن بما تحب . اما انا فافكر بجان ، وبالحياة ، وبالصغير عندما كان مريضاً وكنت اتولى العناية به في احد فنادق « اركاشون ». كان ثمة اشجار صنوبر وموجات كبيرة من الخضرة كنت اراها من نافذتي .

سوربيه : (بهزء) حقاً ! امواج من الخضرة ؟ اقول لك انه ليس لدى وقت اضيعه .

لوسي : سوربيه ، بتُّ لا اعرفك .

سوربيه : (خجلا) حسناً ! انها الأعصاب . ان لي اعصاب عذراء (ينهض ويتقدم نحوها) لكل انسان طريقته في الدفاع . وانا لا اساوي شيئاً اذا أُخذت على حين غرة . لو كان بوسعي تحسس الألم قبل حصوله — ولو قليلاً ليتسنى لي التعرف اليه عند الاقتضاء — لكنت اكثر تيقناً من نفسي . ليس الذنب ذنبي ، فقد كنت دوماً مدققاً (هنيهة) انت تعلمين انني احبك كثيراً . ولكنني احسني وحيداً (هنيهة) اذا اردتِ ان اصمت .....

فرنسوا : دعيهم يتحدثون . فالمهم هو الضجة التي يحدثونها .

لوسي : افعلوا ما يحلو لكم .

(صمت)

سوربيه : (بصوت اكثر خفوتاً) أي كانوري ! (كانوري يرفع رأسه) ارأيت ، انت ، اشخاصاً سبق ان ادلوا باعترافاتهم ؟

كانوري : اجل رأيت .

سوربيه : اذن ؟

كانوري : وما شأنك في ذلك ما دام ليس لدينا ما نبوح به؟

سوربيه : اود ان اعرف هل كانوا يطيقون العذاب ؟

كانوري : الأمر يتفاوت حسب الاشخاص . ان احد هؤلاء اطلق على وجهه النار من بندقية صيد ، فلم يفلح الا في ان يعمي بصره . ولقد كنت اصادفه احياناً في شوارع « البيره » تقوده امرأة ارمنية . كان يعتقد انه كفّـر عن عمله . وكل واحد منهم يقرر ما اذا كان قد كفر عن عمله ام لا . ولقد صرعنا رجلاً آخر

في معرض حين كان يشتري « راحة الحلقوم » . وكان منذ خروجه من السجن قد أولع « براحة الحلقوم » لأنها سكرية الطعم .

سوربيه : يا له من محظوظ !

كانوري : كفى !

سوربيه : اذا ما اضطررت للكلام، فأنه ليدهشني ان اتغذى بالحلوى .

كانوري : يقال ذلك . ولكن المرء لا يعرف الحقيقة ما لم يمر بالتجربة .

سوربيه : على كل حال ، لا أحسب انني سأظل احبّ نفسي كثيراً بعد التجربة ، واعتقد انني سوف الجأ الى بندقية الصيد .

فرنسوا : اما انا فأني افضل « راحة الحلقوم »

سوربيه : فرنسوا !

فرنسوا : مالك تنادي فرنسوا ؟ هل انبأتني حين اتيت الى لقائك ؟ لقد قلت لي : ان المقاومة بحاجة الى رجال ، ولم تقل لي انها بحاجة الى ابطال . وانا لست بطلًا ، لست بطلًا ! لست بطلًا ! لقد قمت بما قيل لي : وزعت النشرات ونقلت الأسلحة . وقد كنتم تقولون انني كنت دائم البشاشة . ولكن احداً لم يخبرني بما ينتظرني في النهاية . اقسم لكم انني لم اعرف قط السبيل الذي كنت اسلكه .

سوربيه : بلى ! كنتَ تعرفُ ذلك . كنت تعرف ان

« رينه » قد عُذِّب .

فرنسوا : لم افكر قط في هذا الأمر (هنيهة) ان الصغيرة التي ماتت ، كنتم ترثون لحالها ، وكنتم تقولون انها انما ماتت من اجلنا . وانا ، اذا ما تكلمت حين يحرقونني بلفائفهم فأنكم ستقولون عني : إنه جبان ، وستقدمون لي بندقية صيد ، هذا اذا لم تطلقوا علي النار في ظهري . ومع ذلك فاني لا أكبرها بأكثر من سنتين .

سوربيه : كنت أكلم نفسي .

كانوري : (مقترباً من فرنسوا) لم يبق عليك اي واجب يا فرنسوا . ليس ثمة واجب ولا اوامر ، اننا لا نعلم شيئاً وليس لدينا ما نخفيه . وعلى كل منا ان يتدبر امره حتى لا يتألم اكثر مما ينبغي . والوسائل ليست ذات اهمية .

(يعاود فرنسوا الهدوء رويداً رويداً ولكنه يظل خائر القوى. لوسى تضمه الى صدرها)

سوربيه : اجل ان الوسائل ليست ذات اهمية ... اصرخ وابكِ وتضرعْ واطلب منهم الغفران ونقّب في ذاكرتك لعلّك تجد شيئاً تعترف به امامهم او شخصاً تسلمهم اياه : فما الضرر في ذلك ما دمت لا تخاطر بشيء ؟ انك لن تجد شيئاً تُفضي به ، وبذلك تبقى جميع الشوائب الوضيعة سرّية بحتة . ولعل ذلك أفضل (هنيهة) . انني لست متأكداً من ذلك .

كانوري : ما الذي تودّه ؟ ان تعرف اسماً او تاريخاً حتى

يمكنك ان ترفض الافضاء به اليهم ؟

سوربيه : لا ادري . بل لست ادري اذا كان بوسعي ان الزم الصمت .

كانوري : واذن ؟

سوربيه : أودّ لو اعرف نفسي . كنت اعلم انهم سينجحون أخيراً في القبض عليّ وانه سوف يأتي يوم اراني فيه وحيداً امام نفسي وقد اعيتني الحيلة وسدت في وجهي المنافـــذ . وكنت اتساءل عما اذا كنت استطيع تحمل الصدمـة . ان جسدي هو الذي يقلقني ، أتفهم ذلك ؟ ان بنيتي ليست على ما يرام ، وإن لي اعصاب النساء . وقد حلّ الوقت الذي سيسلطون فيه آلاتهم عليّ . ولكني سُلبت : فاني سأتعذب من أجل لا شيء ، وسأموت من غير ان اعرف قيمة نفسي .

(تتوقف الموسيقى . ينتفضون ويصيخون السمع .)

هنري : (مستيقظاً فجأة) ما هذا ؟ (هنيهة) لقد انتهى عزف «البولكا» واحسب ان علينا نحن ان نرقص . (تستأنف الموسيقى) لقد كان الانذار كاذباً . ما اشد حبهم للموسيقى (ينهض) كنت احلم انني كنت ارقص في «شهرزاد» . انكم تعرفون «شهرزاد» في باريس . اما انا فلم اذهب اليها قط (يستيقظ رويداً رويداً) . آه ! ها انتم اولاء ... ها انتم اولاء ! هل تريدين ان ترقصي يا لوسي ؟

لوسي : لا .

هنري : ترى ، هل يؤلمك معصماك ، انت ايضاً ؟ لا بدّ ان

اللحم قد تورّم اثناء نومي . كم هي الساعة ؟

كانوري : الساعة الثالثة .

لوسي : الساعة الخامة .

سوربيه : الساعة السادسة .

كانوري : اننا لا ندري .

هنري : لقد كان لديك ساعة .

كانوري : لقد كسروها على معصمي . ان ما هو اكيد انك نمت وقتاً طويلًا .

هنري : انه وقت سرقوه مني (لكانوري) ساعدني (يرقى هنري على كتفي كانوري ويرتفع حتى الكوة) يبـــدو من الشمس ان الساعة هي الخامسة . ان لوسي هي التي كانت على حق (ينزل ثانية) ان دار البلدية لا تزال تحترق. اذن ، فانت لا تريدين ان ترقصي؟ (هنيهة) . انني اكره هذه الموسيقى .

كانوري : (بلامبالاة) باه !

هنري : لا بد أنها تُسمع من المزرعة .

كانوري : لم يبق ثمة احد ليسمعها .

هنري : اعرف ذلك . انها تدخل من النافـذة وتحوم فوق الجثث . الموسيقى والشمس : انها لوحة. والاجسام سوداء تماماً. آه ! لقد ذهب سعينا سدىً . (هنيهة) . ما بال الصغير ؟

لوسي : ان حالته ليست على ما يرام . ها قد انقضت ثمانيـة ايام من غير ان يغمض له جفن. كيف وجدت الى النوم سبيلًا؟

هنري : لقد جاءني النوم من تلقاء ذاته . وقد الفيتني وحيداً الى حد ان راودني النعـــاس . (يضحك) نحن منسيون من الدنيا بأجمعها. (يقترب من فرنسوا). يا لك من طفل مسكين... (يداعب شعره ثم يتوقف فجأة . لكانوري) اين ذنبنا ؟

كانوري : لا ادري . وهل يمكن ان يغير ذلك شيئاً ؟

هنري : ان ثمة خطأً وانا اشعر انني مذنب .

سوربيه : وانت ايضاً ؟ آه ! انني جـــد مغتبط لأني كنت اعتقد ان ليس ثمة غيري .

كانوري : حسناً ، وانا ايضاً اشعر انني مذنب . فهل يغـير ذلك شيئاً ؟

هنري : ما كنت اود ان اموت مذنباً .

كانوري : لا تشغل بالك بذلك : فـأنا على يقين من أن الرفاق لن يأخذوا علينا شيئاً .

هنري : لا ابالي بالرفاق . فالحساب يجب ان اؤديه الآن لنفسي فحسب .

كانوري : (ممتعضاً وبجفاء) واذن ؟ فانت انما تريد مُعرِّفاً ؟

هنري : تباً للمُعرِّف ! فالحساب يجب ان اؤديه الآن لنفسي فحسب . (هنيهة ، وكأنه يخاطب نفسه) مـــا كان ينبغي ان تجري الأمور على هذا الشكل . وكم كنت اتمـنى ان اكتشف ذلك الذنب ...

كانوري : لو تم ذلك لتقدمت كثيراً .

هنري : انني استطيع عندئذ ان اجابه ذلك الذنب ، وان اقول لنفسي : هو ذا السبب الذي اموت من اجله . يا الـهي ! لا يستطيع الأنسان ان يموت كالفأر من اجل لا شيء ومن غير ان يقول : أفّ .

كانوري : (يهز كتفيه) الله اعلم !

سوربيه : لماذا تهز كتفيك ؟ ان من حقه ان يبرر موتـه ، فهذا كل ما تبقى له .

كانوري : لا ريب في ذلك . فليبرره اذا استطاع .

هنري : شكراً على هذه الاجازة . (هنيهة) . انـك تحسن صنعاً اذا ما سعيت انت ايضاً الى تبرير موتك : فليس لدينـــا متسع من الوقت .

كانوري : موتي ؟ لماذا ؟ ومن يُفيد من ذلك ؟ انها قضية محض شخصية .

هنري : محض شخصية . اجل ! وبعد ذلك ؟

كانوري : لم استطع قط ان أولـَع بالقضايا الشخصية سواءٌ أتعلقتْ بالآخرين ام بي .

هنري : (من غير ان يصغي اليه) ليتني استطيع انـ اقول لنفسي انني عملت ما كان بوسعي . ولكنني ابالغ بـلا ريب في التمني . فطوال ثلاثين عاماً كنت أشعر انني مذنب ، لا لشيء الا لانني كنت اعيش . اما الآن فهناك البيوت التي تحـــترق بسبب خطأي ، وهناك هؤلاء الاموات الابرياء ، وأنا سأموت

مذنباً . ان حياتي لم تكن الا خطأ .

(كانوري ينهض ويسير نحوه)

كانوري : لستَ متواضعاً يا هنري .

هنري : ماذا تقول ؟

كانوري : انك تسيء لنفسك لانك لست متواضعاً . اما انا فاعتقد اننا متنا منذ زمن بعيد ، منذ اللحظة التي اصبحنا فيها بلا جدوى . وفي هذه اللحظة ، يبقى لنا أن نعيش شطراً يسيراً من حياةٍ بعد الموت وان نقتل بضع ساعات . ليس لديك من شيء تصنعه الا ان تقتل الوقت وان تثرثر مع جيرانك . لا ترهق نفسك يا هنري واسترح . إن من حقك ان تستريح لانه ليس بوسعنا بعد ان نفعل شيئاً هنا. استرح فليس ثمة أحد يُعوِّل علينا بعد ، اننا اموات لا شأن لهم . (هنيهة). هذه هي المرة الاولى التي أقرّ فيها لنفسي الحق في الراحة .

هنري : انها المرة الاولى ، منذ ثلاث سنوات ، التي اجابه فيها نفسي من جديد. كانوا يصدرون لي الاوامر، وكنت اذعن لها ، وكنت اجد في ذلك ما يبررني . اما الآن ، فما من احد يستطيع ان يعطيني اوامرَ وما من شيء يستطيع ان يبررني . اجل ! لم يبق لي الا شطر يسير من الحياة . أجل ! لم يبق لي الا الوقت الذي احتاجه لأنشغل بنفسي (هنيهة) كانوري ، لماذا ترانا سنموت ؟

كانوري : لانهم كانوا قد عهدوا الينا في مهمة خطرة ، فلم

نفلح في ادائها .

هنري : اجل هذا ما ، سوف يفكر فيه الرفاق ، هـــذا ما سوف يقال في الخطب الرسمية . اما انت ، فما رأيك في الامر ؟

كانوري : لا رأي لي ، فقد كنت احيا من اجـــل القضية ، وكنت اتوقع دوماً ان اموت مثل هذه الميتة .

هنري : اجل ، كنت تحيا من اجل القضية . ولكن لاتزعم انك تموت من اجلها . فقد يصح مثل هـذا الزعم لو نجحنا ومتنا اثناء العمل .... (هنيهة) سنموت لأنهم أعطونا اوامر سخيفة ، ولأننا لم نحسن تنفيذها ولن يكون موتنا مفيداً لأحد . ان القضية لم تكن بحاجة الى مهاجمة هذه القرية ، وهي لم تكن بحاجة الى ذلك ، لأن المشروع كان مستحيل التحقيق . ان القضية لا تعطي ابداً امراً ما ولا تقول ابداً شيئاً ما ، انما نحن الذين نقرر ما يقتضي عمله من اجلها . دعنا من حديث القضية ، فلا مجـال لذلك هنا . قد يصح مثل هذا الحديث ما دمنا نعمل من اجلها . ولكن ينبغي بعد ذلك ان نلزم الصمت ، وعلى الاخص ان لا نتذرع بها في سبيل تعزيتنا الشخصية . لقد نبذتنا لأننا غـــير صالحين للاستعمال ، ولسوف تجد من يخدمها : ففي « لور » « ولـيل » و « كاركاسون » نساء تصنع الأولاد الذين سوف يحلون محلنا . لقد حاولنا ان نبرر حياتنا وقد أخفقنا في ضربتنا . سنموت الآن وسنكون امواتاً غير قابلين للتبرير .

كانوري : (بلا مبالاة) قد تكون على صواب . فلا شأن

لشيء مما يجري داخل هذه الجدران الاربعة . وسواء أتأمَّلتَ ام يئست ، فلن يخرج من ذلك شيء .

(هنيهة)

هنري : الا ليتنا نستطيع ان نعمل شيئاً، أي شيء، او ان نخفي عنهم شيئاً .... (هنيهة) (لكانوري) هل لك زوجة ، انت ؟

كانوري : نعم في اليونان .

هنري : أتستطيع ان تفكر بها ؟

كانوري : انني احاول ، ولكن المكان بعيد .

هنري : (لسوربيه) وانت ؟

سوربيه : إن لي والدين في الشيخوخة . وهما يعتقدان انني في انكلترا. اظن انهما يجلسان الآن الى المائدة فهما يتعشيان باكراً. ليتني استطيع ان اتصور في قرارة نفسي انهما سيشعران فجأة بغصة ، او أن قلبيهما سيحدثهما بشيء ... ولكني على يقين من انهما هادئان تماماً . سوف ينتظرانني سنين طويلة بهدوء متزايد ، وسوف اموت في قلبيهما من غير ان يحّسا ذلك . لا بد ان ابي يتحدث عن الحديقة ، فقد كان يتحدث دوماً عن الحديقة عند العشاء . وهو عما قليل ذاهب لسقاية الملفوف . (يتنهد) يا للشيخ المسكين ! لماذا افكر بها ؟ ان هذا لا يعزّي .

هنري : كلا ! ان هذا لا يعزّي . (هنيهة) ومع ذلك فأني اتمنى لو ان ابويّ يعيشان بعد . فليس لي من احد .

سوربيه : ليس لك من احد في الدنيا ؟

هنري : ليس لي من احد .

لوسي : (بحدة) انت غيز محق . فان لك جان . ولنا جميعاً جان . لقد كان رئيسنا وهو يفكر بنا .

هنري : انه يفكر بك لأنه يحبك .

لوسي : بل يفكر بنا جميعاً .

هنري : (برفق) لوسي ! هل كنا نتحدث كثيراً عن امواتنا ؟ لم يكن لدينا وقت لدفنهم حتى في قلوبنا (هنيهة) كلا ؟ لن أُفقدَ من اي مكان ولن اترك اي فراغ . إن القطارات ملأى والمطاعم غاصّة ، والرؤوس محشوة بالهموم التافهة حتى لتكاد تنفطر . لقد انسللتُ خارج العالم، ومع ذلك بقي على امتلائه كالبيضة . يجب الاعتقاد بانني لست لازماً لا يُستغنى عنه . (هنيهة) كنت اتمنى ان اكون لازماً لا يُستغنى عنه بالنسبة لشيء ما او لأحد ما . (هنيهة) بالمناسبة ، كنت احبك يا لوسي . اني اقول ذلك لك الآن ، لان الامر بات غير ذي شأن .

لوسي : أجل ، بات الامر غير ذي شأن .

هنري : تلك هي القضية . (يضحك) لقد كان حقاً من العبث ان اولد .

(يفتح الباب .يدخل جنود من المليشيا)

سوربيه : عموا صباحاً . (لهنري) لقد نالوا مرادهم منا ثلاث

مرات بينما كنت نائماً .

الجندي : أأنت تدعى سوربيه ؟

(صمت)

سوربيه : نعم انا .

الجندي : اتبعنا .

(صمت جديد)

سوربيه : على كل حال ، انني احب ان يبدأوا بي (هنيهـة. يمشي نحو الباب) . اني اتساءل عما اذا كنت سأتعرف على نفسي. (عندما يهم بالخروج) هذه هي الساعة الـتي يسقي فيها ابي الملفوف .

المشهد الثاني

الاشخاص انفسهم ما عدا سوربيه

(صمت طويل ايضاً)

هنري : (لكانوري) . اعطني سيجارة .

كانوري : لقد أخذوا السكاير مني .

هنري : أسفاً .

(تعزف الموسيقى نوعاً من الفالس)

هنري : هيا نرقص يالوسي ، ما داموا يريدون ان نرقص .

لوسي : قلت لك كلا .
هنري : كما تشائين . لن تعوزني الراقصات .
(يقترب من التمثال ويرفع يديه المقيدتين ويجعلهما تزلقان عـلى اطراف كتفي التمثال وجنبيه . ثم يشرع في الرقص وهو يضمه الى صدره . تنقطـع الموسيقى . هنري يتوقف ويضع التمثال ثم يرفـع ذراعه ببطء ليتخلص منه)
لقد بدأوا .
(يصغون)
كانوري : هل تسمع شيئاً ؟
هنري : كلا .
فرنسوا : ما تظن انهم يفعلون به ؟
كانوري : لا ادري . (هنيهة) . اودّ لو يتحمل العذاب ، والا فأنه سيسيء الى نفسه اكثر مما يسيئون اليه .
هنري : سيتحمل العذاب حتماً .
كانوري : اتمنى لو يتحمله داخلياً ، فـــالامر أشقّ ، اذا لم يكن لدى الانسان ما يُدلي به .
(هنيهة)
هنري : انه لا يصرخ ، وهذا يعني انه يتحمل .
فرنسوا : ربما كانوا يستجوبونه فحسب .
كانوري : وهل هذا معقول ؟
(سوربيه يئن ، فينتفضون)
لوسي : (بصوت سريع وطبيعي اكثر مماينبغي) لا بدّ ان يكون جان قد وصل الآن الى « غرنوبل » . فقد يدهشني ان تكون رحلته استغرقت اكثر من خمس عشرة ساعة . ولا بد ان يرى

نفسه مضحكاً ، فالمدينة هادئة والناس على سطوح المقـــاهي و « الفوركور » ليس الا حلماً بعد . (صوتسوربيه يتضخم وصوت لوسي يعلو) . انه يفكر بنا ويسمع الراديو من النوافذ المفتوحة . الشمس تسطع على الجبال والوقت بعد ظهر يوم صيف والطقس رائع . (صرخات اشد) ها ! (ترتمي على حقيبة وتنتحب وهي تردد :) يا له من طقس رائع بعد ظهر يوم صيف .

هنرى : (لكانوري) لن اصرخ .

كانوري : ستكون على خطأ ، لان في ذلك عزاءً وسلوى .

هنري : لن يكون بوسعي ان اتصور انكم تسمعونني وانهـا تبكي فوق رأسي .

(يبدأ فرنسوا بالارتعاش)

فرنسوا : (على قاب قوسين من النوبة) لا اظن ... لا اظن..

(اقدام في الممشى)

كانوري : اسكت ايها الصغير ، ها هم .

هنري : لمن الدور ؟

كانوري : لك او لي . سيتركون الفتاة والصغير للنهاية .

(يدور المفتاح في القفل) ليته دوري ، فأنا لا احب صرخات الآخرين .

(يفتح الباب ويدفع جان الى الغرفة . انه غير مقيد)

المشهد الثالث

الاشخاص انفسهم بالاضافة الى جان

(يطرف بعينيه لدى دخوله ليعتاد على الضوء الخافت. جميعهم التفتوا نحوه. يخرج الجندي ويغلق الباب خلفه)

لوسي : جان !

جان : اسكتي ولا تنطقي باسمي . تعالي الى جانب الجدار ، فربما كانوا ينظرون الينا من خصاص الباب (ينظر اليها) ها انت ذي ! ها انت ذي ! كنت اظن انني لن اراك ابداً . من هناك ؟

كانوري : كانوري .

هنري : هنري .

جان : انني لا احسن تمييزكم . هل « بيار » و « جاك » ؟

هنري : اجل .

جان : والصغير هو ايضاً هنا ؟ يا للصبي المسكين ! (بصوت خافت وسريع) كنت آمل انكم قضيتم نحبكم .

هنري : (ضاحكاً) لقد بذلنا ما في وسعنا .

جان : اني استشعر ذلك . (للوسي) ما بالك ؟

لوسي : اوه ! يا جان ! لقد انتهى كل شيء . كنت اقول لنفسي : انه في « غرنوبل » يجوب الشوارع وينظر الى الجبال و ... و ... والآن انتهى كل شيء .

جان : لا تنتحبي ، فإن كل الحظوظ متوفرة لخروجي من

هذه الورطة .

هنري : وكيف قبضوا عليك ؟

جان : لم يقبضوا عليّ بعد . لقد وقعت بأحدى دورياتهم في المنحدر على طريق « ڤاردون » ، فقلت لهم انني من «سيميه» – وهي مزرعة صغيرة في الوادي – وقد اقتادوني الى هنا ريثما يتحققون من صدق كلامي .

لوسي : ولكنهم في « سيميه » سوف ...

جان : ان لي هناك رفاقاً يعرفون ما ينبغي ان يقولوه . وسأنجو من هذه الورطة . (هنيهة) يجب ان انجو منها، فالرفاق ليسوا على علم بذلك .

هنري : (يُصفر) حقاً . (هنيهة) ما رأيك ؟ هل أخفقنا تماماً في أمرنا ؟

جان : سوف نعيد الكرة في مكان آخر .

هنري : انتَ ، ستعيد الكرة .

(اقدام في الممشى)

كانوري : ابتعدوا عنه ، فلا ينبغي ان يروكم تتحدثون اليه .

جان : ماهذا ؟

هنري : انه سوربيه يعودون به .

جان : آه ! انهم ...

هنري : اجل ! لقد بدأوا به .

(يدخل بعض الجنود مسندين سوربيه الذي يتراخى على حقيبة . يخرج الجنود .)

المشهد الرابع

الاشخاص أنفسهم ، بالاضافة الى سوربيه

سوربيه : (من غير ان يرى جان) هل أبقوني وقتاً طويلاً ؟

هنري : نصف ساعة .

سوربيه : نصف ساعة ؟ لقد كنت على حق يا كانوري . فالوقت يمضي سريعاً . هل سمعتموني اصرخ ؟ (لا يجيبون) لقد سمعتموني طبعاً .

فرنسوا : ماذا فعلوا بك ؟

سوربيه : سترى ، سترى جيداً . فلا ينبغي ان تكون متعجلاً الى هذا الحد .

فرنسوا : هل ان ذلك ... قاس جداً ؟

سوربيه : لا ادري . ولكن هاك ما بوسعي ان اعلمك إياه . لقد سألوني اين كان جان ، ولو كنت عالماً بذلك لقلته لهم . (يضحك) ألا ترون انني اعرف نفسي الآن . (يسكتون) ما بالكم ؟ (يتتبع نظراتهم فيري جان ملتصقاً الى الحائط وقد باعد بين ذراعيه) من ارى هناك ؟ أهو جان ؟

هنري : (بحدّة) اسكت . انهم يحسبونه فتى من «سيميه».
سوربيه : فتى من « سيميه » ؟ (يتنهد) انني حقاً محظوظ .
هنري : (دهشاً) ماذا تقول ؟
سوربيه : اقول انني حقاً محظوظ . فقد اصبح لديّ الآن ما اخفيه عنهم .
هنري : (بفرح تقريباً) هذا صحيح . فقد اصبح لدينا الآن جميعاً ما نخفيه عنهم .
سوربيه : كنت اود لو أنهم قتلوني .
كانوري : سوربيه ! اقسم انك لن تتكلم . وليس بوسعك ان تتكلم .
سوربيه : اقول لك انني قد أسلـّم والدتي . (هنيهة) إن من الظلم ان تكون دقيقة واحدة كافية لافساد حياة بكاملها .
كانوري : (برفق) إن ذلك يقتضي اكثر من دقيقة واحدة. اتظن ان لحظة ضعف يمكن ان تفسد تلك الساعة التي قررت فيها ان تترك كل شيء لتلتحق بنا ؟ وهذه السنوات الثلاث الحافلة بالشجاعة والصبر ؟ وذلك اليوم الذي حملت فيه ، على الرغم من اعيائك ، البندقيه و كيس الصغير ؟
سوربيه : لا تصدع رأسك. الآن اعرف.اعرف حقاً ما انا.
كانوري : تعرف حقاً لماذا تراك اليوم اكثر حقيقـــة ، اذ يضربونك ، مما كنت امس إذ رفضت ان تشرب لتعطي لوسي نصيبك ؟ اننا لم نُخلـَق لنعيش دائماً على حدود نفوسنا . ففي الوديان ايضاً طُرُق .

سوربيه : حسناً . اذا اعترفت عما قليل ، فهل تستطيع ان تتابع النظر في عيني ؟

كانوري : انك لن تعترف .

سوربيه : واذا فعلت ؟ (كانوري يصمت) إنك لن ترى (هنيهة ، يضحك) هناك أناس سيموتون على سريرهم هادئي الضمير : ابناء صالحون ، وازواج صالحون ومواطنون صالحون وآباء صالحون ... ها ! انهم جبناء مثلي ولن يعرفوا ذلك ابداً . انهم محظوظون (هنيهة) ولكن أسكتني ! ماذا تنتظر لكي تسكتني؟

هنري : سوربيه ، انت خيرُنا .

سوربيه : صَهْ !

(صوت أقدام في الممشى . يسكتون . يُفتحَ الباب)

الجندي : اليوناني ، اين هو ؟

كانوري : هأنذا !

الجندي : إتبعنا .

(كانوري يخرج مع الجندي)

المشهد الخامس

الاشخاص أنفسهم ما عدا كانوري

جان : انه من اجلي سيتعذب .

هنري : فليكن عـــذابه من اجلك . والا فسيكون من اجل لا شيء .

جان : كيف لي حـين يعود ان اتحمّل نظرته ؟ (للوسي) قولي لي ، هل تكرهينني ؟

لوسي : وهل أبدو اني اكرهك ؟

جان : اعطيني يدك . (تمد له يديها المقيدتين) انني خجل ان لا اكون مقيداً . انت هنا ! كنت اقول في نفسي : لقد انتهى على الأقل كل شيء بالنسبة لها . انتهى الخوف ، وانتهى الجوع والالم . وانتِ هنـــا ! سيحضرون لاقتيـــادك ثم يعيدونك نصف محمّلة .

لوسي : لن يكون في عيني الا الحب !

جان : ينبغي ان اسمع صرخاتك .

لوسي : سأحاول ألاّ أصرخ .

جان : ولكن الولد سيصرخ . انني على يقين من انه سيصرخ.

فرنسوا : صهْ ! صهْ ! اسكتوا جميعاً ! اتريدون ان تجعلوني مجنوناً ؟ لست بطلًا ، ولا اريد ان أُسامَ العذاب مكانك .

لوسي : فرنسوا !

فرنسوا : اغربي عني : لن ارقد معه . (لجان) انا اكرهك ، اذا شئت ان تعرف ذلك .

(هنيهة)

جان : انت على حق .

(يتوجه نحو الباب)

هنري : يا هذا ! ماذا تفعل ؟

جان : ليس من عادتي ان القي رفاقي في المهالك بدلاً مني .

هنري : ومن سينبيء الرفاق ؟

(جان يتوقف)

فرنسوا : دَعْهُ يفعل اذا اراد ان يسلّم نفسه . فليس من حقك ان تمنعَ عليه ذلك .

هنري : (لجان من غير ان يولي فرنسوا اهتمامه) . ما أطرف ان يحضروا الى هنا وهم يعتقدون ان القرية بيدنا . (جان يرجع على عقبيه خافض الرأس ويجلس) احرى بك ان تعطيني سيجارة . (جان يعطيه سيجارة) اعط الصغير ايضاً سيجارة .

فرنسوا : دعني وشأني .

(يتجه ثانية نحو اقصى القاعة)

هنري : اشعلها (جان يشعلها له . هنري يأخذ منها مجتين ثم يزفر زفرتين عصبيتين) لا تقلق . انا احب التدخين ، ولكنني لم اكن اعرف ان ذلك يوفر هذا القدر من اللذة . كم سيجارة بقيت معك

جان : واحدة .

هنري : (لسوربيه) خذ (سوربيه يتناول السيجارة من غير ان ينبس ببنت شفة ويأخذ منها بعض مجات ثم يعيدها له . هنري يلتفت نحو جان) انني مغتبط ان تكون هنا . لقد اعطيتني اولاً سيجارة ، ثم انك ستكون شاهدنا ، إن هذا قارس . ستقصد اهل سوربيه وستكتب الى زوجة كانوري .

لوسي : غداً ستنزل نحو المدينـــة وستحمل في عينيك آخر

صورة لوجهي الحي وستكون وحدك من يعرفه في العالم. ينبغي الا ّ تنساه . انني انت ، فاذا حييتَ فسأحيا .

جان : أنساه .

(يتقدم منها . تُسمع خطوات)

هنري : ابق حيث انت واسكت : انهم آتون . هـا هوذا دوري ، ينبغي ان اسرع ، وإلا فلـن يكون لدي متسع من الوقت لانتهي. اسمع ! لو لم تأتِ لكنا تعذبنا كالبهائم من غيران ندري لماذا . ولكنك هنـا ، وكل ما يجري الآن سيكون ذا معنى . لن نقاوم من اجلك وحدك ، بـل من اجـل جميع الرفاق. لقد اخطأنا الهدف، ولكننا قد نستطيـع انقاذ الظواهر. (هنيهة) كنت احسب انني عديم النفع ، ولكن ارى الآن ان ثمة شيئاً يحتاجني : فاذا واتاني بعض الحظ، فقد استطيع ان اقول في نفسي انني لا أموت من اجل لا شيء .

(يفتح الباب . يظهر كانوري يسنده جنديان)

سوربيه : اما هو فانه لم يصرخ .

ستار

اللوحة الثانية

قاعة مدرسة . مقاعد وقماطر . جدران مورّقة بالجصّ . على الجدار الداخلي خارطة افريقيا وصورة بتسان . لوح اسود . الى اليسار نافذة . في الداخل باب . جهاز راديو على رفٍ بجانب النافذة .

المشهد الاول

كلوشه ، بلّوران ، لاندريو

كلوشه : هل ننتقل الى التالي ؟

لاندريو : دقيقة . ولنأخذ لنا وقتاً للطعام .

كلوشه : ُكلْ اذا شئت . فقد استطيع ان استجوب شخصاً آخر في هذه الاثناء .

لاندريو : كلا ، فان ذلك سيلذّ لك اكثر مما ينبغي. اتراك الست جائعاً ؟

كلوشه : كلا .

لاندريو (لبلوران) كلوشه ليس جائعاً ! (لكلوشه) لا بد انك مريض ؟

كلوشه : انا لا اشعر بالجوع حين اشتغل .

(يتجه نحو الراديو ويدير الزر)

بلوران : لا تصدع رأسنا !

كلوشه : (يدمدم، يسمعونه يقول) ... لا يحبون الموسيقى .

بلوران : ماذا تقول ؟

كلوشه : اقول انه يدهشني دائماً ان ارى اناساً لا يحبون الموسيقى

بلوران : قد احب الموسيقى . ولكن لا احب هـذه وفي هذا المكان .

كلوشه : هكذا إذن ؟ اما انا فيكفي ان اسمع الغناء ... (بحسرة) كان بامكاننا ان نخفض صوته .

بلوران : كلا .

كلوشه : انكم بهائم . (هنيهة) هل نستدعيه ؟

لاندريو : ولكن دعنا ، يا الـهي ! علينا استجواب ثلاثة ، والساعة تدق العاشرة مساءً . ان اعصابي لتثور عندما اشتغـــل خاوي البطن .

كلوشه : اولاً لم يبق منهم الا اثنان . ما دمنا سنحتفـــظ بالصغير الى الغد . ومن جهة ثانية فأننا نستطيـع ، اذا ما نظمنا الامور قليلاً ، ان نصفيهم في ساعتين . (هنيهة) هذا المساء راديو « تولوز » يُذيـع الـ « توسكا »

لاندريو : انني لا اكترث بذلك إطلاقاً . انزل فانظر ماذا وجدوا لاطعامنا .

كلوشه : اعرف ذلك : افراخ

لاندريو : ايضاً ! لقد مللتها . هيا وائتني بعلبة من لحم البقر .

كلوشه : (لبلوران) وانت ؟

بلّوران : لحم بقر ايضاً .

لاندريو : ثم ابعث الينا من ينظف « هذا »

كلوشه : ماذا ؟

لاندريو : « هذا » . ها هنا نزف الدم من اليوناني . انه لمنظر قبيح .

كلوشه : ينبغي ألاّ يُغسَل الدم ، فقد يؤثر منظره على الآخرين .

لاندريو : لن آكل ما دامت هذه القذارة على الارض (هنيهة) ماذا تنتظر ؟

كلوشه : ينبغي ألاّ يُغسَل هذا الدم .

لاندريو : لِمن الامر ؟

(كلوشه يهز كتفيه ويخرج)

المشهد الثاني

لاندريو ، بلوران

بلّوران : لا تبالغ في الاستهزاء به .

لاندريو : وهل سأتحرج من أجله ؟

بلّوران : ما اقوله لك عنه ... أن له ابن عم يعمل مع « دارنان » وهو يرسل له تقارير . واعتقد انه هو الذي وشى بروبان .

لاندريو : ياله من حشرة قذرة ! اذا كان يود ان يشي به فعليه ان يُسرع ، لاني اعتقد ان « دارنان » سَيُقْضى عليه قبلي .

بلّوران : قد يحدث هذا .

(يتنهد ويتوجه بصورة آلية نحو الراديو)

لاندريو : كلا ! لا تفعل .

بلّوران : انما يود الاستماع الى الاخبار !

لاندريو : (ضاحكا بخبث) الاخبار ، اظن انني اعرفها .

(بلوران يدير ازرار الراديو)

صوت المذيع : عند الدقة الرابعة تصبح الساعة الثانية بالضبط . (الدقات. يضبطون ساعاتهم) ايها المستمعون الاعزاء : ستسمعون بعد لحظات حفلة الأحد الغنائية .

لاندريو : (متنهداً) حقاً انّ اليوم احد. (مقدمة قطعة موسيقية) إ°لو عنقه .

بلّوران : يوم الاحد كنت آخذ سيارتي فالتقط غانية من « مونمارتر » واذهب بها الى « توكه »

لاندريو : متى حدث ذلك ؟

بلّوران : اوه ، قبل الحرب .

صوت المذيع : لقد وجدتُ مسامير في حديقة بيت الكاهن [1] . اكرر وجدتُ ...

لاندريو : سدّوا افواهكم ، ايها المنتنون !

(يأخذ علبة « كونسرفه » ويرمي بها ناحية الجهاز)

---

[1] هذه عبارة من المصطلحات التي تم الاتفاق عليها بين الاذاعة البريطانية وحركة المقاومة في فرنسا ايام الاحتلال الالماني في عهد حكومة فيشي ، وهي تعني غير معناها الحرفي وترمز الى اشياء متفق عليها سلفاً . [المترجان]

بلوران : هل جننت ؟ ستحطم الراديو .

لاندريو : هذا لا يهمني. فانا لا اريد الاستماع الى هؤلاء المنتنين

(بلوران يدير الازرار)

صوت المذيع : الجيوش الالمانية تصمد بقوة في «شاربورغ» و « كان » . وفي قطاع « سان لو » لم تتمكن من وقف تقدم طفيف للعدو .

لاندريو : مفهوم . اقفله. (هنيهة) ما عساك فاعل ، واين انت ذاهب ؟

بلوران : ماذا تريد ان نفعل ؟ لقد انتهى الامر .

لاندريو : اجل . يا لهم من قذرين !

بلوران : من هم ؟

لاندريو : جميعهم . والالمان ايضاً . كلهم متساوون. (هنيهة) لو كان لنا ان نعيد العمل ....

بلوران : اظن انني شخصياً لا اتحسر على شيء . فلقد تسليت كثيراً ، على الاقل حتى هذه الاوقات الاخيرة .

(كلوشه يعود حاملا علب « الكونسرفة »)

المشهد الثالث

الاشخاص انفسهم ، كلوشه ، ثم جندي

لاندريو : قل لي يا كلوشه ، لقد نزل الانكليز في « نيس » .

كلوشه : في « نيس » ؟

لاندريو : لم يلاقوا مقاومة ما . انهم يزحفون على «بوجه تينيه»

(كلوشه يتراخى على مقعد)

كلوشه : ايتها العذراء القديسة ! (بلوران ولاندريو يأخذان في الضحك) هذا هذر ؟ لا ينبغي ان تلجأوا الى مثل هذا المزاح .

لاندريو : حسناً . ستذكر ذلك في تقريرك هـذا المساء .

(يدخل الجندي) نظِّف لي هذا . (لبلوران) ألا تودّ ان نأكل؟

(بلوران يقترب ويأخذ علبة لحم البقر وينظر اليها ثم يضعها)

بلوران : (يتثاءب) انني احسُّ نفسي غريباً قبل المباشرة بالعمل . (يتثاءب) لست شريراً الى هذا الحد ، وانما اغتاظ حين يعاندون . كيف هو الشخص الذي يُستجوَب ؟

كلوشه : انه طويل القامة ، متين البنية ، في الثلاثين من عمره . وسيكون هناك عراك .

لاندريو : ينبغي ان لا يمثل معنا دور « اليوناني » .

بلوران : باه ! اليوناني كان وحشاً .

لاندريو : هذا لا يمنع . انما يزعجنا الا يتكلموا . (يتثاءب) انك تحملني على التثاؤب. (هنيهة . لاندريو ينظر في قاع العلبة من غير ان يتكلم ، ثم يخاطب الجندي فجأة) حسناً ! هيا إئتنا به .

(يخرج الجندي . صمت . كلوشه يَصفرُ صفيراً خفيفاً . بلوران يقصد النافذة ويفتحها على مصراعيها .)

كلوشه : لا تفتح النافذة . فقد اخذ الطقس يبرد .

بلوران : اية نافذة ؟ آه نعم !.. (يضحك) لقد فتحتها من غير ان افكر بذلك .

(يعود ليقفلها)

لاندريو : دعها . إن الجو خانق هنا ، وانني بحاجة للهواء .

كلوشه : كما تريد .

(يدخل هنري وثلاثة جنود)

لاندريو : اجلسوه وانزعوا عنه قيوده واربطوا يديه الى مسند الكرسي . (الجنود يربطونه) ما اسمك ؟

هنري : هنري .

لاندريو : هنري ماذا ؟

هنري : هنري .

(لاندريو يعطي اشارة . الجنود يضربون هنري)

لاندريو : ما اسمك إذن ؟

هنري : اسمي هنري فحسب .

(يضربونه)

لاندريو : كفى ! ستخبلونه . عمرك ؟

هنري : تسع وعشرون سنة .

لاندريو : مهنتك ؟

هنري : قبل الحرب كنت ادرس الطب .

بلوران : أنت متعلم يا قذر ! (للجنود) اضربوه .

لاندريو : ينبغي ان لا نضيع الوقت .

بلوران : دروسه الطبية ! استمروا إذن في ضربه .

لاندريو : بلوران ! (لهنري) اين رئيسك ؟

هنري : لا ادري .

لاندريو : طبعاً . كلا ، لا تضربوه . هل تدخن ؟ اعطوه هذه السيجارة : انتظروا . (يضعها في فمه ويشعلها ثم يناوله اياها . احد الجنود يغرسها في فم هنري) دخّن . ماذا تأمل ؟ انك لن تدهشنا . هيا يا هنري ، لا تكابر : لن يراك احد . وفر وقتك ووقتنا : فلم يبق لك ساعات كثيرة تحياها .

هنري : ولا انتم ايضاً .

لاندريو : اما نحن فحياتنا تعد بالأشهر : وسندفنك . دخّن وفكرْ . ما دمت متعلمـــاً فكن واقعياً . إنْ لم تتكلم انت فستفعل ذلك رفيقتك او الصغير .

هنري : هذا شأنهما .

لاندريو : اين رئيسك ؟

هنري : حاولوا ان تحملوني على البوح بذلك .

لاندريو : أتفضلُ ذلك ؟ انزع منـه السيجارة وتولَّ امره يا كلوشه .

كلوشه : ضعوا العصيّ في الحبال . (الجنود يضعون عصوين في الحبال التي تشد معصمي هنري) حسناً . سيديرونها حتى تتكلم .

هنري : لن اتكلم .

كلوشه : لن تتكلم حالاً ، ولكنك ستصرخ اولاً .

هنري : حاول ان تحملني على الصراخ .

كلوشه : لستَ متواضعاً . ينبغي ان تكون متواضعاً . اذا ما وقعت من علو شاهق فأنك تتحطم . أديروا بتأنٍ . واذن ؟ لا شيء ؟ كلا . استمروا . انتظروا : لقد ابتدأ يتألم .

وبعد ؟ لا ؟ طبعاً : ان من كان في مثل علمك لا يعترف بالالم .
ولكن الواقع انه يرتسم على وجهك . (برفق) ان العرق يتصبب منك ،واني اتألم من اجلك . (يمسح له وجهه بمنديله) اديروا . اتراه سيصرخ ام لا ؟ انك تتحرك .بوسعك ان تمنع نفسك من الصراخ ولكنك لا تستطيع عدم تحريك رأسك . كم تشعر بالالم ! (يمر اصبعه على خدي هنري) ما اشد انطباق فكيك : انك اذن وَجل ؟ « لو كان بامكاني ان صمد لحظة ، لحظة واحدة .... » ولكن بعد تلك اللحظة ستأتي لحظة اخرى ، ثم اخرى الى ان توقن ان العذاب بات لا يحتمل ،وانه خير لك ان تحتقر نفسك . لن نتركك . (ياخذ رأسه بين يديه) ان عينيك لا تريانني بعد . ما عساهما تريان (برفق) انك جميل . أديروا (هنيهة.بلهجةتنم عن الانتصار) ستصرخ يا هنري ، ستصرخ ، اني ارى الصرخة تنفخ عنقك ، انها تصعد الى شفتيك . قليلًا من الجهد ايضاً . أديروا (هنري يصرخ) ها ! (هنيهة) لا بدّ ان يكون خجلك شديداً. أديروا، لا تتوقفوا (هنري يصرخ) اترى ؟ ان العبرة هي للصرخة الاولى . اما الآن ، برفق وتأنٍ ، فستتكلم .

هنري : لن تنالوا مني الا الصرخات .

كلوشه : كلا يا هنري كلا . ليس من حقك ان تتشامخ . « حاول ان تحملني على الصراخ ! » ارأيت ؟ . إن الامر لم يطلُ بك . اين رئيسك ؟ كن متواضعاً يا هنري ، متواضعاً جداً . قُلْ لنا اين هو . ما بالك ، مـاذا تنتظر ؟ اصرخ او

تكلم . اديروا ، اديروا يا الـهي ! حطموا معصميه . كفّوا : لقد أغميَ عليه . (يستحضر زجاجة كحول وقدحاً .يسقي هنري برفق) اشرب ، ايها الشهيد المسكين . الم تتحسن حالك ؟ اذن سنبدأ . هيّا استحضروا الآلات .

لاندريو : كلا !

كلوشه : ماذا ؟

(لاندريو يمر يده على جبينه)

لاندريو : خذوه الى الغرفة المجاورة وتابعوا عملكم معه هناك .

كلوشه : المكان ضيق هناك .

لاندريو : انا الذي يصدر الاوامر يا كلوشه . ها هي المرة الثانية التي الفت انتباهك الى ذلك .

كلوشه : ولكن ...

لاندريو : (صارخاً) اتريد ان ادس قبضتي في فمك ؟

كلوشه : حسناً ، حسناً ، خذوه .

(الجنود يحلون رباط هنري ويقتادونه . كلوشه يتبعهم)

المشهد الرابع

بلوران ، لاندريو

بلوران : أتأتي معي ؟

لاندريو : كلا . ان نفسي لتشمئز من كلوشه .

بلوران : انه يتكلم اكثر مما ينبغي (هنيهة) دروسه الطبية ! يا للقذر ! لقد تركت المدرسة في الثالثة عشرة من عمري ، وكان عليّ ان اكسب معاشي . ولم يتح لي الحظ اهلاً اثرياء لينفقوا على تعليمي .

لاندريو : آمل ان يتكلم .

بلوران : يا الـهي ، اجل سيتكلم !

لاندريو : سيضايقنا جداً الا يتكلم .

(هنري يصرخ . لاندريو يتوجه نحو الباب ويقفله . صرخات جديـــدة تسمع بوضوح من خلال الباب. لاندريو يذهب الى جهاز الراديو ويديرالزر)

بلوران : (مشدوهاً) وانت ايضاً يا لاندريو !

لاندريو : انها هذه الصرخات . ينبغي ان تكون الاعصاب متينة .

بلوران : فليصرخ ! انه قذر ، مثقف قذر . (موسيقى حادة) خفّف الصوت . انك تمنعني من السماع .

لاندريو : هيا إلحق بهم . (بلوران يتردد ثم يخرج) يجب ان يتكلم . انه جبان ، لا بدّ انه جبان .

(موسيقى وصرخات . الصرخات تنقطع . هنيهة . بلوران يخرج ثانيـــة شاحب اللون)

بلوران : أوقف الموسيقى .

(لاندريو يدير الزر)

لاندريو : وإذن ؟

بلوران : سيقتلونه من غير ان يتكلم .

لاندريو : (يقصد الباب) قفوا ، واعيدوه الى هنا .

المشهد الخامس

الاشخاص أنفسهم . كلوشه . الجنود . هنري

بلوران : (يتجه الى هنري) إن الامر لم ينته . سنؤجل ذلك، لا تخف خفض عينيك . قلت لك أن اخفض عينيك . (يضربه) قذر !

كلوشه : (مقترباً) مدُد يدك ، اريد ان اعيد لك القيود. (يضع له القيود في غاية من الرفق) إن هذا يؤلمك ، اليس كذلك ؟ انه يؤلم كثيراً . يا لك من فتىً مسكين . (يداعب شعره) لا تكن متكبراً الى هذا الحدّ : لقد صرخت ، لقد صرخت على كل حال . غداً ستتكلم .

(الجنود يقتادون هنري باشارة من لاندريو)

المشهد السادس

الاشخاص انفسهم ما عدا هنري والجنود

بلوران : يا للقذر !

لاندريو : إن ذلك مزعج .

كلوشه : ماذا ؟

لاندريو : إن من المزعج الا يتكلم المرء .

كلوشه : مع انه كان قد صرخ ، كان قد صرخ ...

(يهز كتفيه

بلوران : احضروا الفتاة .

لاندريو : الفتاة ... واذا لم تتكلم ...

بلوران : ما عساك ...

لاندريو : لا شيء (بعنف فجائي) ينبغي ان يتكلم واحد منهم .

كلوشه : يجب احضار الأشقر ثانيةً . إنه مناسب .

لاندريو : الأشقر ؟

كلوشه : سوربيه . انه جبان .

لاندريو : جبان ؟ اذهب وائت به .

(يخرج كلوشه)

المشهد السابع

بلوران ، لاندريو

بلوران : انهم جميعاً جبناء . ولكن بعضهم مكابرون .

لاندريو : بلوران ! ما الذي تفعله اذا ما اقتُلِعت اظافرك؟

بلوران : ان الانكليز لا يقتلعون الاظافر .

لاندريو : ورجال المقاومة ؟

بلوران : لن تُقتلع اظافرنا .

لاندريو : ولماذا ؟

بلوران : لن تُصيبنا ، نحن ، مثل هذه الامور .

(يدخل كلوشه ، متقدماً سوربيه)

كلوشه : دعني استجوبه .

المشهد الثامن

الاشخاص انفسهم ، كلوشه ، ثم سوربيه يصحبه الجنود

كلوشه : انزعوا قيوده واوثقوا ذراعيه بالكرسي . حسناً . (يتجه نحو سوربيه) اجل ، ها انت ذا ، ها انت ذا ثانيةً على هـذا الكرسي .

ونحن هنا . اتعلم لماذا انزلناك ثانية ؟

سوربيه : لا .

كلوشه : لأنك جبان ، ولأنك ستُدلي لنا بمعلوماتك . الستَ جباناً ؟

سوربيه : بلى .

كلوشه : انك ترى ، انك ترى جيداً . لقد قرأت ذلك في عينيك . أبرزهما ، هاتين العينين المتسعتين .

سوربيه : ستكون عيناك مثلهما عندما تُشنق .

كلوشه : لا تتغطرس ، فذلك لا يلائمك .

سوربيه : ستكون لك العينان نفسهما ، فنحن اخوان . انني اجتذبك ، اليس كذلك ؟ انت لا تعذبني بل تعذب نفسك

كلوشه : (فجأة) هل انت يهودي ؟

سوربيه : (دهشاً) انا ؟ كلا .

كلوشه : اقسم انك يهودي . (يشير الى الجنود الذين يضربون سوربيه) الست يهودياً ؟

سوربيه : بلى ، اني يهودي .

كلوشه : حسناً . اسمع إذن . سنبتدىء بالاظافر . ان ذلك سيتيح لك مجال التفكير . لسنا مستعجلين ، فلدينا الليل ! اتراك لن تتكلم ؟

سوربيه : يا لك من قذر !

كلوشه : ماذا تقول ؟

سوربيه : اقول : يالك من قذر . اننا قذران ، انت وانا .

كلوشه : (للجنود) خذوا الملقطَ وابدأوا .

سوربيه : دعوني ! دعوني ! سأتكلم . سأقول لكم كل ما تشاءون .

كلوشه : (للجنود) على كل حال ، شدوا على ظفره قليلاً ليرى ان الامر جدّ . (سوربيه يئن) حسناً ، اين رئيسك ؟

سوربيه : حلّوا رباطي ، فقد بتُ لا استطيع البقاء على هذا الكرسي . بتّ لا استطيع ! بت لا استطيع !
(اشارة من لاندريو . الجنود يحلون رباطه . ينهض مترنحاً ويتجه نحو الطاولة) اعطوني سيجارة .

لاندريو : فيما بعد .

سوربيه : ما الذي تود معرفته ؟ اين الرئيس ؟ اني اعرف ذلك ، اما الآخرون فلا يعرفونه ، اما انا ، فاعرف . لقد كان يأتمنني على اسراره . انه ... (مشيراً فجأة الى نقطة ور ءهم)... هناك ! (الجميع يلتفتون . يقفز الى النافذة ثم يثب على سطح العمود .) لقد ربحت ! لا تقتربوا والا قفزت . لقد ربحت ! لقد ربحت

كلوشه : لا تكن سخيفاً . اذا تكلمت اطلقنا سراحك .

سوربيه : مسامير . (صارخاً) هيه ، انتم فوق ! هنري ، كانوري لم اتكلم ! (الجنود يرتمون عليه . يقفز في الفراغ .) وداعاً !

المشهد التاسع

كلوشه ، لاندريو ، بلوران ، الجنود .

بلوران : يا له من قذر ! يا له من جبان دنس !

(ينحنون على النافذة) .

لاندريو : (للجنود) اهبطوا ، فان كان حيـ ، فعودوا به ، وسنواصل ارهاقنا له بمنتهى العنف حتى يموت بين ايدينا .

(يخرج الجنود . هنيهة) .

كلوشه : كنت قد لمت لـكم ان تقفلوا النافذة .

(لاندريو يتجه اليه ويضربه بقبضة يده على وجهه)

لاندريو : ستذكر ذلك في تقريرك .

(هنيهة . كلوشه يأخذ منديله ويمسح فمه . الجنود يعودون) .

جندي : لقد مات .

لاندريو : يا له من قذر ! (للجنود) اذهبوا فأتوني بالفتـاة .

(الجنود يخرجون) سيتكلمون ، يا آلهي ، سيتكلمون !

ستار

اللوحة الثالثة

العلية . فرنسوا وكانوري وهنري جالسون ارضاً متقاربين . انهم يؤلفون حلقة ضيقة مغلقة ويتهامسون . جان يدور حولهم وقد بدا تعساً . تبدر منه بين الفينة والفينة حركة كما لو كان يريد الاشتراك بالحديث ثم يتمالك نفسه ويتابع مشيته .

المشهد الاول

فرنسوا ، هنري ، كانوري ، جان

كانوري : بينما كانوا يربطون ذراعيّ كنتُ انظر اليهم . ثم جاء رجل وضربني ، فنظرت اليه وفكّرت : لقد رأيت ذلك الوجه في مكان ما . وبعد ذلك اخذوا يضربونني ، وكنت انا احاول ان اتذكر .

هنري : وأيهم هو ؟

كانوري : انه ذلك الرجل الطويل ، الميال الى كشف سريرته . لقد رأيته في « غرنوبل » . هل تعرف « شازيار » « الحلواني » في شارع « لونغ » ذلك الذي يبيع « قرون » القِشدة في مؤخرة حانوته ؟ لقد كان الرجل يخرج من هناك صبيحة كل احد . وكان يحمل صُرة من الفطائر مربوطة بخيط ورديّ . ولقد ميّزته بسبب سحنته ، وكنت اعتقد انه من رجال الشرطة .

هنري : كان بوسعك ان تقول لي ذلك قبل الآن .

كانوري : انه كان من رجال الشرطة ؟

هنري : ان « مثازيار » كان يبيع « قرون » القشدة . وهل اغدق عليك ، انت ايضاً ، شعوذته ؟

كانوري : اجل ، كان ينحني فوقي ويقذف كلامه في وجهي

جان : (فجأة) ماذا كان يقول ؟

(يلتفتون نحوه وينظرون اليه بدهشة)

هنري : لا شيء غير خليط من الكلام .

جان : ما كنت لأستطيع ان احمله .

هنري : ولماذا ؟ ان ذلك يُسلي .

جان : اجل ! اجل ! حقاً انني لا ادرك ذلك جيداً .

(صمت . هنري يلتفت نحو كانوري)

هنري : ماذا تظن انهم يعملون في الحياة المدنية ؟

كانوري : قد يكون البدين، الذي كان يدوّن الملاحظات، طبيب اسنان .

هنري : اصبت . قل لي، ان من حسن الحظ انه يحضر معه آلة النخر .

(يضحكون)

جان : (بعنف) لا تضحكوا . (ينقطعون عن الضحك وينظرون الى جان) اعرف ان بوسعكم ان تضحكوا . ان من حقكم ان تضحكوا . ومن جهة اخرى لم يبق لدي اوامر اصدرها اليكم (هنيهة) لو قلتم لي انكم قد تهددونني يوماً ... (هنيهة) ولكن كيف يمكنكم ان تكونوا مرحين ؟

هنري : اننا نتدبر الأمر .

جان : طبعاً . ولكنكم تتألمون لحسابكم . وهذا ما يوفر لكم ضميراً مرتاحاً . لقد تزوجت ولم اخبركم بـذلك . وماتت زوجتي في اثناء الوضع . كنت اذرع ممشى العيادة جيئة وذهاباً وكنت اعلم انها مشرفة على الموت ، ولكن الامر سيّان ، كل شيء سيان ! لقد كنت اود ان اساعدها ولكني كنت عاجزاً عن ذلك . كنت امشي واصيخ السمع لأسمع صرخاتها . الا انها لم تكن تصرخ . لقد لعِبتْ دوراً جميلاً ، وانتم ايضاً .

هنري : ليس الذنب ذنبنا .

جان : ولا ذنبي . اني اتمنى لو استطيع مساعدتكم .

كانوري : لاتستطيع .

جان : اعرف ذلك . (هنيهة) ها قد انقضت ساعتان منذ ان اخذوها . انهم لم يحتفظوا بكم ذلك الوقت الطويل .

هنري : انما هي امرأة ، وهم يلهون مع النساء .

جان : (بحدة) سأعود . بعد ثمانيـــة ايام او شهر سأعود . وسأخصيهم بواسطة رجالي .

هنري : انك محظوظ اذ تستطيع الاستمرار في كرههم .

جان : هل هذا حظ ؟ ثم اني اكرههم لأسرّيَ عن نفسي .

(يمشي فترة ثم تراوده فكرة فيسحب موقداً قديماً تحت كوة السقف)

كانوري : انك مزعج . ماذا تفعل ؟

جان : اريد ان اراه ثانية قبل ان يهبط الليل .

هنري : من ؟

جان : سوربيه .

هنري (بفتور) آه !

(جان يصعد على الموقد وينظر من الكوة)

جان : انه لا يزال مكانه، وسيتركونه يعفن هناك . اتريد ان تصعد حتى اساعدك على ذلك ؟

كانوري : ولماذا ؟

جان : نعم ! لماذا ؟ الموتى ، انكم تدَعونهم لي .

فرنسوا : أنا اودّ ان ارى .

هنري : لا انصحك ان تفعل ذلك .

فرنسوا : (لجان) ساعدني (جان يساعد فرنسوا على الصعود. ينظر بدوره من الكوة) إن ... ان جمجمته محطمة . (ينزل ويذهب الى زاوية في الغرفة حيث يجلس القرفصاء وهو يرتجف) .

هنري :(لجان)انما هذا خبيث .

جان : يا للعجب ! انكم جد قساة . كنت اعتقد انكم تطيقون رؤية جثة .

هنري : قد أطيق ذلك ، اما الصغير فلا.(لفرنسوا) الخطب التأبينية انما هي من اختصاص جان . فلا ينبغي ان تأخذ هذا الميت على عاتقك . لقد انتهى ، فيقتضي ان يسود الصمت حوله . اما انت فلا يزال امامك بعض الطريق ،فعليك انتهتم بأمر نفسك.

فرنسوا : سيكون لي هذا الرأس المحطم وهاتان العينان ...

هنري : بات الأمر لا يعنيك . فلن تكون هناك لترى نفسك

(هنيهة . جــان يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ثم يعود وينتصب امام كانوري وهنري)

جان : هل ينبغي ان تُقلع اظافري حتى اصبح من جـديد رفيقـكم ؟

كانوري : انت دائمـاً رفيقنا .

جان : انت تعـلم ان الأمر على خلاف ما تقول . (هنيهة) من يقول لكم انني كنت لا اقوى على تحمل التعـــذيب ؟ (لهنري) ولعلني لم اكن لأصرخ انا ؟

هنري : وبعد ذلك ؟

جان : سامحوني . فليس لي الا حق الصمت .

هنري : جان !... تعال اجلس الى جانبنا . (جان يتردد ويجلس) ستكون مثلنا لو كنت في وضعنا . ولكن همومنا تختلف عن همومك (جان ينهض فجأة) ماذا دهاك ؟

جان : ما داموا لم يعيدوها ، فلن استطيع البقاء في مكاني .

هنري : ارأيت كيف انك كثير الحركة والاضطراب : انك مفرطٌ في الحيوية .

جان : لقد ظللت ستة اشهر من غير ان اقول لها انني كنت احبها . وكنت اطفيء النور ، اثناء الليـل ، اذا ما ضممتها بين ذراعي . اما الأن فهي عارية بينهم ، تُداعبُ جسدَها ايديهم .

هنري : وما تأثير ذلك ؟ المهم ان نربح .

جان : ان نربح ماذا ؟

هنري : ان نربح . فهنالك فرقتان تحاول احداهما حمـــل

الأخرى على الكلام . (يضحك) ان هذا لسخيف . ولكن هذا هو كل ما يبقى لنا . فأذا ما تكلمنا خسرنا كل شيء . لقد سجلوا بعض الانتصارات لأنني صرخت ، ولكن وضعنا بالاجمال ليس سيئاً .

جان : لا يهمني سواء اربحنا ام خسرنا ! فهذا للضحك . انها تخجل اشد الخجل و تُسام سوء العذاب .

هنري : وماذا بعد ذلك ؟ لقد شعرت انا بخجل شديد عندما حملوني على الصراخ . ولكن ذلك لا يدوم . فاذا ما لاذت بالصمت فأن ايديهم لن تترك عليها اي اثر . انهم مساكين ، كما تعلم .

جان : انهم رجال ، وهي بين اذرعهم .

هنري : حسناً . الا فاعلم انني احبها انا ايضاً .

جان : انت ؟

هنري : لمَ لا ؟ انه لم يكن يسرُّني ان اراكما ، وقت المساء تصعدان السلم معاً . وكثيراً ما تساءلت عما اذا كنت تطفيء النور .

جان : اتحبها انت ؟ وهل بوسعك ان تستمر في تلك الجلسة الهادئة ؟

هنري : ان المَها ليجمعنا . اما اللذة التي كنت تمنحها اياها فقد كانت تزيد في تفريقنا . واني اشعر اليوم اني اقرب اليها منك .

جان : ليس هذا صحيحاً ! ليس هذا صحيحاً ! انها تفكر بي حين يعذبونها . انها لا تفكر الا بي . وهي انما تتحمل الآلام

والهوان حتى لا تسلمني .

هنري : كلا ، انما تفعل ذلك في سبيل النصر .

جان : انت تكذب ! (هنيهة) لقد قالت : حين اعود فلن يكون في عيني الا الحب .

(صوت خطوات في الممشى)

هنري : انها تعود . بوسعك ان تقرأ في عينيها .

(يفتح الباب : هنري ينهض)

المشهد الثانى

الاشخاص انفسهم ، لومي

(جان وهنري ينظران اليها بصمت . تمر قدماً دون ان تنظر اليهما وتجلس على مقدمة المسرح . هنيهة .)

لومي : فرنسوا ! (فرنسوا يأتي اليها ويجلس عند ركبتيها) لا تمسّني . اعطني معطف سوربيه . (فرنسوا يلتقط المعطف ضعه على كتفيّ (تتدثر به بشدة)

فرنسوا : هل انتِ مقرورة ؟

لومي : كلا . (هنيهة) ماذا يعملون ؟ انهم ينظرون اليّ .

لماذا لا يتحادثون ؟

جان : (يقترب منها من الوراء) لوسي !

كانوري : دعها وشأنها !

جان : لوسي !

لوسي : (برفق) ماذا تريد ؟

جان : كنت قد وعدتني بانه لن يكون في عينيك الا الحب .

لوسي : الحب ؟

(تهز كتفيها بحزن)

كانوري : (الذي انتصب واقفاً) كفى ، ستحدثها عما قريب .

جان : (بعنف) اليك عني . انها لي . لقد تخليتم عني ، وليس لديّ ما اقوله . ولكنكم لن تأخذوها مني . (الى لوسي) كلميني انت . لست مثلهم ؟ لا يمكن ان تكوني مثلهم . لماذا لا تجيبين؟ اتحقدين علي ؟

لوسي : لا احقد عليك .

جان : لوسي ، ايتها الحلوة .

لوسي : لن اكون ابداً حلوة ، يا جان .

جان : بتِ لا تحبينني .

لوسي : لا ادري . (يخطو خطوة نحوها) ارجو منك ان لا تمسني . (بجهد) اعتقد انه ينبغي ان احبك ايضاً . ولكن بتُ لا اشعر شيئاً على الاطلاق .

كانوري (لجان) تعالَ اذن

(يجذبه ويكرهه على الجلوس بقربه)

لوسي : (وكأنها تخاطب نفسها) كل هذا ليس على جانب كبير من الأهمية . (لفرنسوا) ماذا يعملون ؟

فرنسوا : لقد جلسوا وادار كل منهم ظهره للآخر .

لوسي : حسناً . (هنيهة) قل لهم انني لم اتكلم .

كانوري : اننا نعلم ذلك يا لوسي .

لوسي : حسناً .

(صمت طويل : ثم صوت اقدام في الممشى . فرنسوا ينهض صارخاً)

لوسي : مابك ؟ آه ! اجل ، هذا هو دورك . أَحسن الدفاع عن نفسك : يجب ان يشعروا بالخجل .

(تقترب الاقدام ثم تبتعد)

فرنسوا : (يرتمي على ركبتي لوسي) بتّ لا استطيع تحمّل ذلك ! بت لا استطيع تحمل ذلك !

لوسي : انظر اليّ (ترفع رأسه) ما اشد خوفك ! انك لن تتكلم ؟ أَجِبْ !

فرنسوا : بتّ لا ادري . كنت محتفظاً بقليل من رباطة الجأش، ولكن ما كان ينبغي ان اراك ثانية. انتِ هنا وقد انحل شعرك وتمزق قميصك وانا اعلم انهم اخذوك بين اذرعهم .

لوسي : (بعنف) انهم لم يمسوني . لم يمسني احد . كنتُ قطعة من حجر، ولم اشعر بأيديهم . كنت احدّق في وجوههم وافكر بأنه لا يحدث شيء . (بحرارة) انه لم يحدث شيء . وفي النهاية كنتُ أُخيفهم. (هنيهة) انك اذا ما تكلمت، يا فرنسوا ، يكونون

في الحقيقة قد انتهكوا عرضي . ولسوف يقولون : « لقد فزنا بهم بالنتيجة » . سوف يبتسمون لذكرياتهم ويقولون : « لقد مزحنا مع الفتاة » ينبغي ان نُخجلهم : لولا املي بلقائهم مرة ثانية لشنقت نفسي حالاً بواسطة قضبان هذه الكوّة . أتلوذ بالصمت ؟

(فرنسوا يهز كتفيه من غير ان يحير جواباً . صمت .)

هنري : (بصوت خافت) ما قولك يا جان ، من كان على حق ؟ انها تريد ان تنتصر فحسب .

جان : صهْ ! لماذا تريد ان تأخذها مني ؟ انك مغمور بالنعم ، وستموت بين الفرح والفخر . اما انا فليس لي سواها وسأعيش .

هنري : لا اريد شيئاً ولست الذي يودّ اخذها منك .

جان : تابع ! تابع ! استمر . فلك جميع الحقوق ، حتى الحق في تعذيبي : لقد دفعت الثمن سلفاً (ينهض) كم انت واثق من نفسك ! هل يكفي ان يتعذب الأنسان في جسده حتى يكون ضميره هادئاً ؟ (هنري لا يجيب) الاتدرك اذن انني أتعسكم جميعاً ؟

فرنسوا : (وقد انتصب فجاة) ها ! ها ! ها !

جان : (صارخاً) اشدكم تعاسة ! اشدكم تعاسة !

فرنسوا : (يثب على جان) انظروا اليه اذن ! انظروا اليه ! انه اشدنا تعاسة . لقد نام وأكل . ان يديه غير مقيدتين ، وسيرى النور وسيعيش . ومع ذلك فهو اشدنا تعاسة ! ماذا تريد ؟ ان نرثي لك ، ايها القذر !

جان : (الذي شبك ذراعيه) حسناً .

فرنسوا : ان جميع الاصوات تجعلني انتفض . وقد بتُّ

لا استطيع ان ابلعَ ريقي ، انني انازع . ولكن مما لا ريب فيه انه هو اشدنا تعاسة : اما انا فسأموت في الفرح (منفجراً) سأعيد الك السعادة !

لوسي : (التي تنهض فجأة) فرنسوا !

فرنسوا : سأشي بك ! سأشي بك ! سأجعلك تشاطرنا افراحنا !

جان : (بصوت خافت وسريع) افعل ذلك : فأنك لا تعلم كم اتمناه .

لوسي : (تأخذ فرنسوا من رقبته وتدير رأسه نحوها) انظر اليّ في وجهي . اتجرؤ على الكلام ؟

فرنسوا : أجرؤ ؟ تلك هي كلماتكم الرنانة . سأشي بك . هذا كل ما في الامر . وسيكون ذلك على غاية من السهولة : سيقتربون مني ، فينفتح فمي من تلقاء نفسه ، ويخرج الاسم وحده ، فاكون على وفاق مع فمي . فأين الجرأة في كل ذلك ؟ انني حين اراكم صفراً متشنجين وقد تملككم الهوس فان احتقاركم لايخيفني قط . (هنيهة) سأخلصك يا لوسي . وسوف يدعون لنا الحياة .

لوسي : لا اريد مثل هذه الحياة .

فرنسوا : اما انا فأني اريدها . اريد اية حياة كانت . ان العار ليزول حين تكون الحياة طويلة .

كانوري : انهم لن يصفحوا عنك يا فرنسوا حتى ولو تكلمت .

فرنسوا : (مشيراً الى جان) على الاقل سأراه يتألم .

هنري : (ينهض ويذهب نحو لوسي) اتظنين انه سيتكلم ؟

لوسي : (تلتفت نحو فرنسوا وتحدق فيه) نعم

هنري : هل انتِ متأكدة من ذلك ؟

(يتبـــادلان النظر)

لوسي : (بعد تردد طويل) نعم

(هنري يمشي نحو فرنسوا . كانوري ينهض ويأتي الى جانب هنري . كلاهما ينظر الى فرنسوا)

هنري : لست قاضيك يا فرنسوا . انت ولد ، وقد كانت هذه القضية كلها اقسى من أن تحتملها . ولو كنت في عمرك لكنتُ تكلمت ، على ما اظن .

كانوري : كل ذلك كان نتيجة خطأنا . فما كان ينبغي ان نصطحبك : ان هناك اخطاراً يجب ان لا يستهدف لها الا الرجال . اننا نطلب منك الصفح .

فرنسوا : (متراجعاً) ما معنى ذلك ؟ وماذا تريدون ان تفعلوا بي ؟

هنري : ينبغي الا تتكلم ، يا فرنسوا . انت تعـــلم انهم سيقتلونك على كل حال ، وستموت في العار .

فرنسوا : (مذعوراً) حسناً ، لن اتكلم . اقول لـكم انني لن اتكلم . دعوني وشأني .

هنري : بتنا لا نثق بك . انهم يعلمون انك نقطة الضعف فينا . وسيشددون عليك الخناق حتى تدلي بما لديك ، وخطتنا نحن هي ان نمنعك من الكلام .

جان : وهل تتصورون اني سأدعكم تنفّذون هذه الخطة ؟

لاتخف ايها الصغير . ان يديَّ غير مقيدتين وانا معك .

لوسي (قاطعة عليه المرور) لماذا تتدخل في ما لا يعنيك ؟

جان : انه أخوك .

لوسي : وبعدئذ ؟ انه على كل حال سيموت غداً .

جان : احقاً انتِ التي ارى ؟ انك لتخيفينني .

لوسي : ينبغي ان يلوذ بالصمت مهما كانت الوسائل .

فرنسوا : انكم لن ... (لا يجيبون) ما دمت اقسم لكم انني لن اتكلم . (لايجيبون) النجدة يا لوسي ! امنعيهم من ان يؤذوني ، لن اتكلم : انني اقسم لكِ بأنني لن اتكلم .

جان : (يقف الى جانب فرنسوا) لن تمسوه بسوء .

هنري : جان ! متى يأتي الرفاق الى هذه القرية ؟

جان : الثلاثاء .

هنري : كم سيكون عددهم ؟

جان : ستون .

هنري : ستون وضعوا ثقتهم بك ، وسيموتون يوم الثلاثاء كالجرذان . فاما هم وإما هو . عليك ان تختار .

جان : ليس من حقك ان تطلب اليَّ الاختيار .

هنري : الست رئيسَهم ؟ هيّا هيّا !

(جان يتردد لحظة ثم يبتعد رويداً . هنري يقترب من فرنسوا)

فرنسوا : (ينظر اليه ثم يأخذ في الصراخ) لوسي !النجدة !لا اريد ان اموت هنا ، هذه الليلة. هنري ، ان عمري خمس عشرة سنة ، فدعني اعيش . لا تقتلني في الظـــلام . (هنري يضغط على عنقه .)

لوسي ! (لوسي تشيح برأسها) انني اكرهكم جميعاً .

لوسي : يا صغيري ، يا صغيري المسكين ، يا حبيبي الوحيد، سامحنا . (تشيح بوجهها . هنيهة) اسرع .

هنري : لا استطيع ، فانهم قد حطّموا معصميّ تقريباً .

(هنيهة)

لوسي : هل قُضي الامر ؟

هنري : لقد مات .

(لوسي تلتفت وتأخذجثان فرنسوا بين ذراعيها وتسند رأسه على ركبتيها. صمت طويل جداً ثم يأخذ جان في الكلام بصوت خافت . الحديث التالي يستمر كله بصوت خافت)

جان : ما الذي انتهيتم اليه ؟ لماذا لم تموتوا مع الآخرين ؟ انكم لتثيرون ذعري .

هنري : اتظن انني احب نفسي ؟

جان : حسناً ، ستتخلص من نفسك بعد اربع وعشرين ساعة . اما انا فسأتمثّل كل يوم هذا الفتى الذي كان يطلب الرحمة وسأتمثل وجهك حين كانت يداك تضغطان على عنقه . (يتجه الى فرنسوا وينظر اليه) خمس عشرة سنة ! لقد مات في الذعر والجزع . (يعود الى هنري) كان يحبك وكان ينام مُسنداً رأسه الى كتفك مردداً « ما اطيب النوم اذ تكون هنا » (هنيهة) يا لك من قذر !

هنري : (لكانوري ولوسي)ما بالكما لا تقولان شيئاً !لا تدعاني وحدي ! لوسي ! كانوري ! لقد قتلتماه بيدي ! (لا جواب .يلتفت

نحو جان) وانت ، انت الذي تحكم عليّ ، ماذا فعلت للدفاع عنه؟

جان : (بعنف) ماذا كان بوسعي ان افعل ؟ وماذا كنتم تدعونني افعل ؟

هنري : كانت يداك طليقتين ، فكان ينبغي ان تضرب . (باندفاع عاطفي) لو كنت ضربت .... لو كنت ضربت حتى سقطتُ ...

جان : يداي طليقتان ؟ لقد قيدتموني ، فما كنت اقول كلمة او آتي حركة حتى تصيحوا بي : « والرفاق ؟ » . لقد ابعدتموني عنكم وقضيتم ، ببرودة ، في حياتي كما في موتي، فلا يقل أحدكم الآن انني شريككم في الجرم، فهذا القول في غاية السهولة. لست الا شاهداً ، شاهداً على انكم قتلة (هنيهة) لقد قتلته بدافع الكبرياء .

هنري : انك تكذب .

جان : بدافع الكبرياء ! لقد حملوك على الصراخ ، اليس كذلك ؟ وانك لتشعر بالخجل ، وتود ان تبهرهم لتكفر عن نفسك . انك تريد ميتة رائعة ، اليس كذلك ؟ تريد ان تنتصر كما قلت لنا . لقد قلت لنا انك كنت تريد ان تنتصر .

هنري : ليس هذا صحيحاً ! ليس هذا صحيحاً ! لوسي، قولي له ان هذا غير صحيح ! (لوسي لا تجيب ، يخطو خطوة نحوها.) اجيبي ، اتعتقدين اني قتلته بدافع الكبرياء ؟

لوسي : لا ادري . (هنيهة ، ثم بشفقة) كان ينبغي ان لا يتكلم

هنري : هل تكرهينني ؟ انه اخوك ولك وحدك الحق

في اداتي .

لوسي : انني لا اكرهك (يقترب من الجثة التي تمسكها بذراعيها . بحدة) لا تمسها .

(هنري يشيح بوجهه ويعود نحو كانوري).

هنري : كانوري ! انت لم تصرخ ، ومع ذلك، فقد كنت تريد موته . فهل قتلناه بدافع الكبرياء ؟

كانوري : ليس عندي كبرياء .

هنري : اما انا ، فعندي كبرياء ! صحيح ان عندي كبرياء ! فهل قتلته بهذا الدافع ؟

كانوري : عليك ان تعرف ذلك .

هنري : انا ... كلا ، بتّ لا ادري . لقد قُضي الأمر في غاية السرعة ، وهو الآن قد مات . (فجأة) لا تتخلوا عني ! ليس من حقكم ان تتخلوا عني . حين كانت يداي حول عنقه ، كان يبدو لي انها ايدينا جميعاً ، واننا كنا كثيرين نشد عليه الخناق ، ولولا ذلك لما استطعت ...

كانوري : كان ينبغي ان يموت ، ولو كان اكثر قرباً مني لكنت انا الذي خنقته . اما ما دار في رأسك ...

هنري : أكمل ... ؟

كانوري : ان هذا لا يُعتدُّ به . لا يُعتدُّ بشيء داخل هذه الجدران الأربعة . كان ينبغي ان يموت ، وهذا كل شيء .

هنري : حسناً . (يقترب من الجثة . للوسي) لا تخافي ، فلن

أمسه . ينحني عليه وينظر اليه طويلا ثم ينتصب واقفاً .)

جان : حين اطلقنا قنبلتنا الأولى ، كم كان عـــدد الرهائن التي أُطلق عليها الرصاص ؟ (جان لا يجيب) اثنا عشر . كان بينهم ولد يدعى « دوتاش ». انك تذكر : لقـد شاهدنا الأعلانات في شارع « مينيم » . كان « شاربونال »يريد ان يسلم نفسه، ولكنك منعته من ذلك .

جان : وبعدئذ ؟

هنري : هل تساءلت لماذا منعته من ذلك ؟ .

جان : ان تلك الحالة لا تشبه حالتنا هذه .

هنري : ربما . هنيئاً لك ان تكون الدوافع آنذاك اكثر وضوحاً، فقد اتاح لك ذلك ان تحتفظ بضمير هاديء . ولكن « دوتاش » قد مات بالرغم من ذلك ، لن يكون ضميري هادئاً بعد الآن ، وسأظل على هذا الحال حتى يلصقوني بجدار معصوب العينين . ولكن لماذا اود ان يكون لي ضمير هاديء ؟ كان على الصبي ان يموت .

جان : لا اود ان اكون في وضعك .

هنري : (برفق) لست في الورطة يا جان ، فليس بوسعك ان تفهم ولا ان تحكم .

(صمت طويل ثم يُسمع صوت لوسي . انها تداعب شعر فرنسوا دون ان تنظر اليه . لاول مرة منذ بداية المشهد تتكلم بصوت مرتفع .)

لوسي : انك ميت، وان عيوني جافة . سامحني : فلقد غارت دموعي وبتُّ لا آبه للموت . انهم في الخارج ثلاثة يرقدون بين

الأعشاب . وانا ايضاً سأكون غداً باردة وعارية ، ولن تكون ثمة حتى يد تداعب شعري . انت تعلم انه ليس هناك ما يؤسف عليه : الحياة نفسها ليست على جانب كبير من الأهمية. وداعاً. لقد عملت ما كان بوسعك . واذا ما توقفت في الطريق، فلأنه لم تكن عندك بعد القوة الكافية . ولا يحق لاحد ان يلومك .

جان : لا احد . (صمت طويل . يقترب من لوسي ويجلس الى جانبها) لوسي ! (تبدر منها حركة) لا تطرديني، فأني اودّ ان اساعدك .

لوسي : (دهشة) تساعدني على اي شيء ؟ لست بحاجة للمساعدة

جان : بلى ! اظن انك بحاجة للمساعدة لاني اخشى ان تتحطمي .

لوسي : سأصمد جيداً حتى مساء الغد .

جان : ان اعصابك متوترة اكثر مما ينبغي ولن تصمدي . وستخونك الشجاعة فجأة .

لوسي : لماذا تقلق من اجلي؟ (تنظراليه) انك مكروب. حسناً سأطمئنك ثم تنصرف . لقد اصبح كل شيء سهلاً منذ ان مات الصغير، وبات لا يتوجب علي الا ان اعنى بنفسي. وانت تعلم انني لست بحاجة للشجاعة لأواجه الموت . وعلى كل حال، فأنك تدرك انه لم يكن بوسعي ان اعيش بعده مدة طويلة . والآن إنصرفْ وسأودعك عما قريب عندما يأتون لأخذي .

جان : دعيني ابقى الى جانبك : سألزم الصمت اذا شئتِ ، ولكنني سأكون هناك ، ولن تشعري انك وحدك .

لوسي : لن اشعر أني وحدي ، معك ؟ انك لم تفهم اذن

يا جان ؟ لم يبق بيننا اي شيء مشترك .

جان : هل نسيت انني احبك ؟

لوسي : انها غيري من كنت تحبها .

جان : بل انت .

لوسي : انا شخص آخر . ولقد بتّ انكر نفسي . لا بدّ ان يكون في رأسي شيء ما محصور .

جان : ربما . ربما اصبحت شخصاً آخر . وفي هذه الحالة فأن هذا الشخص الآخر هو الذي احبه، وغداً سأحب تلك الميتة التي ستكونينها . انت التي احب يا لوسي ، انت ، سعيدةً كنت ام شقية ، حيّةً ام ميتة .

لوسي : حسناً . انت تحبني . وبعد ذلك ؟

جان : كنتِ تحبينني أنت ايضاً .

لوسي : اجل . وكنت احب اخي الذي تركتَه يُقتَل . ان حبنا اصبح بعيداً، فلماذا جئت تحدثني عنه ؟ لم تكن له ، حقاً ، أية اهمية .

جان : انك تكذبين ! انت تعلمين انك تكذبين . لقد كان حياتنا ، لا اكثر ولا اقل من حياتنا . وكل ما عشناه ، عشناه معاً .

لوسي : حياتنا ، اجل ومستقبلنا . كنت اعيش في الانتظار وكنت احبك في الانتظار . كنت انتظر نهاية الحرب ، انتظر اليوم الذي نستطيع ان نتزوج فيه امام الناس جميعاً . كنت انتظرك كل مساء : لم يبق لي مستقبل ، ولا انتظر بعد الا

موتي ، وسأموت وحيدة . (هنيهة .) دعني ، فلم يبق لدينا ما يقوله احدنا للآخر ؛ انني لا اتألم ولست بحاجة للمؤاساة .

جان : اتعتقدين انني احاول مؤاساتك ؟ انني ارى عينيك الجافتين واعلم ان قلبك جحيم : فليس ثمة اثر للألم بل ولا قطرة من دمع ؛ ولقد ابيض كل شيء من فرط الأحمرار . كم ينبغي ان تتألمي لعدم تألمك . آه ! لقد فكرت مئة مرة في التعذيب ، واستشعرت كل شيء سلفاً ،ولكنني لم اكن اتصور ان التعذيب يُسبِّب الم الكبرياء هذا الفظيع . لوسي ! اودُّ ان اعيد اليك قليلاً من الشفقة على نفسك . اودُّ ان يتراخى رأسك المتوتر وان تُسنديه على كتفي . اجيبيني ! انظري اليَّ .

لوسي : لا تمسسْني .

جان : لوسي ، عبثاً تحاولين . نحن في المصيبة سواء . وكل ما فعلوه بك انما فعلوه بنا كلينا . هذا الألم الذي يفر منك انما هو المي، وهو ينتظركِ اذا ما ارتميت بين ذراعيّ ليصبح المنا . ثقي بي يا حبيبتي، وسيكون بوسعنا ان نقول ايضاً «نحن» وسنكون زوجاً وسنحمل كل شيء معاً ، وحتى موتك . لو كنتِ تجدين دمعةً ...

لوسي : (بعنف) دمعةً ؟ اتمنى شيئاً واحداً هو ان يعودوا لأخذي، وان يضربوني حتى اتمكن من الصمت ايضاً والأستهزاء بهم والقاء الخوف في قلوبهم . كل شيء باهت هنا : الانتظار وحبك وعبء هذا الرأس على ركبتي . اتمنى ان يفترسني الألم ، اتمنى ان احترق وان الوذ بالصمت وان ارى عيونهم بالمرصاد .

جان : (مرهقاً) لست بعدُ إلاّ صحراء كبرياء .

لوسي : هل هو ذنبي ؟ انما هم طعنوني في كبريائي . انني اكرههم ، ولكنني في قبضتهم . وهم ايضاً في قبضتي . انني اشعر اني اقرب اليهم منك . (تضحك .) نحن ! تريد ان اقول نحن ! هل يكون معصماك محطّمين مثل هنري ؟ هل في ساقيك جروح مثل كانوري ؟ يالها من مهزلة : فأنت لم تشعر بشيء بل تتخيل كل شيء .

جان : المعصمان محطمان ... ها ... اذا كنتم لا تطلبون الا هذا لأصبح منكم ، فسيتم ذلك عما قريب .

(يبحث حوله ويلمح مسند حطب ثقيل فيأخذه . لوسي تقهقه من الضحك)

لوسي : ماذا تفعل ؟

جان : (يمد يده اليسرى على الارض ويضربها بالمسند الذي يمسكه بيده اليمنى) كفاني ما اسمعه من إشادة بآلامكم كأنها عظائم الاعمال . كفاني ان انظر اليكم بأعين ذليلة . ان ما فعلوه بكم يمكنني ان افعله بنفسي : ان ذلك في متناول الجميع .

لوسي : (ضاحكة) عبث ، عبث ما تعمله ! تستطيع ان تحطم عظامك وان تفقأ عينيك : غير انك تظل انت الذي تفرض المك . اما آلامنا فهي جميعاً هتك لأعراضنا ، لان اناساً آخرين انزلوها بنا . انك لن تدركنا .

(هنيهة . جان يرمي المسند وينظر اليها . ثم ينهض .)

جان : انت على حق ، لن استطيع ان الحق بكم فأنتم مجتمعون وانا وحدي . لن آتي بحركة ولن اكلمكم . سأقبع في

الظلام وستنسون اني موجود . اعتقد ان هـــذا هو نصيبي من هذه القضية وانه ينبغي ان اقبل به كما قبلتم نصيبـــكم . (هنيهة) منذ قليل راودتني فكرة. كان « بيار » قد قتل في جوار كهف « فارقاز » حيث كان معنا اسلحة . فأذا ما اطلقـــوا سراحي فسأذهب للبحث عن جثته، ثم ادس بعض الاوراق في سترته واجره داخل الكهف . انتظروا اربـــع ساعات بعد انصرافي وعندما يستأنفون استجوابكم اطلعوهم على هذا المخبأ . فسوف يجدون « بيار » ويحسبون ان الجثة جثتي . وعندئذ اعتقد انه لن يبقى لديهم اي سبب لتعذيبكم وانهم سينتهون منكم بسرعة . هذا كل ما في الامر . وداعاً .

(يتوجه الى داخل القاعة . صمت طويل . ثم تسمع صوت اقدام في الممر . يظهر جندي حاملاً مصباحاً . يدور بالمصباح حول الغرفة .)

الجندي : (وقد شاهد فرنسوا) ما به ؟

لوسي : انه نائم .

الجندي : (لجان) تعالَ انت . فثمة شيء جديد بالنسبة اليك .

(جان يتردد وينظر الى جميع الاشخاص بشيء من اليأس ويتبع الجندي. يغلق الباب .)

المشهد الثالث

كانوري ، هنري ، لوسي

لوسي : لقد نجا من الورطة ، اليس كذلك ؟

كانوري : اعتقد ذلك .

لوسي : حسناً جداً . هذا هو همٌ زال عنا . سيعود الى اقرانه وكل شيء سيجري على ما يرام . تعاليا الى جانبي (هنري وكانوري يقتربان) اقتربا ايضاً : الآن اصبحنا فيما بيننا ، ماذا يوقفكما ؟ (تنظر اليهما وتفهم) آه ! (هنيهة) كان ينبغي ان يموت ! انتما تعلمان انه كان ينبغي ان يموت . ان الذين هم في الطابق السفلي انما قتلوه بايدينا . تعاليا ، انا اخته ، واني اقول لكما انكما لستما مذنبين . ابسطا ايديكما عليه ، فقد اصبح منا منذ وفاته . انظرا كم يبدو قاسي الملامح . انه يُغلق فمه على سرٍّ . إلمساه .

هنري : (مداعباً شعر فرنسوا) يا صغيري ، يا صغيري المسكين .

لوسي : لقد اكرهوك على الصراخ يا هنري . لقد سمعتك . لا بدّ انك شاعرٌ بالخجل .

هنري : اجل .

لوسي : اني اشعر بخجلك مع حرارتك . انه خجلي . كنت اقول له انني كنت وحدي . ولكنني كنت اكذب عليه . حين اكون معكما ، لا اشعر بأني وحدي . (لكانوري) من المؤسف ان لا تكون قد صرخت .

كانوري : انا ايضاً اشعر بالخجل .

لوسي : غريب ! ولماذا ؟

كانوري : عندما صرخ هنري شعرت بالخجل .

لوسي : حسناً . التصقا بي. اني اشعر بذراعيكما و كتفيكما، وان الصغير يثقل كثيراً ركبتيّ . حسناً . غداً سألزم الصمت . آه ، كم سألزم الصمت ! من اجله ، من اجلي ، من اجل سوربيه ، من اجلكما . لسنا الا شخصاً واحداً .

ستار

اللوحة الرابعة

قبل ان يُرفع الستار ، صوت عامي وبالغ في الضخامة يغني: « لو كان لجميع الازواج المخدوعين جلاجل . » يُرفع الستار عن قاعة الصف . انه صباح اليوم التالي . بلوران يعاقر الشراب ، جالساً على مقعد والاعياء بادٍ عليه . لاندريو يشرب وهو على المنبر . انه نصف ثَمِل . كلوشه واقف بجانب النافذة ، وهو يتثاءب . لاندريو يُقهقه بين الفينة والفينة .

المشهد الاول

بلوران ، لاندريو ، كلوشه

بلوران : لماذا تضحك ؟

لاندريو (يجعل من يده بوقاً ويضعها امام اذنــه) ماذا ؟

بلوران : اسألك لماذا تضحك .

لاندريو : (يشير الى آلة تضخيم الصوت ويصرخ)بسبب هذا .

بلوران : ماذا ؟

لاندريو : اجل ! ارى ان الفكرة مضحكة .

بلوران : اية فكرة ؟

لاندريو : ان يوضع للأزواج المخدوعين جلاجل !

بلوران : بئس الحال ! لا اسمع شيئاً .

(يتجه نحو الجهاز)

لاندريو : (صارخاً .) لا تُطفيء . (بلوران يُديرالزر . صمت .) انت ترى ، انت ترى .

بلوران : (دهشاً) ماذا ارى ؟

لاندريو : البرد .

بلوران : انك مقرور في شهر تموز ؟

لاندريو : اقـول لك ان الطقس بارد . انت لا تفهم شيئاً .

بلوران : ماذا كنتَ تقولُ لي ؟

لاندريو : ماذا ؟

بلوران : فيما يختص بالأزواج المخدوعين .

لاندريو : من يكلمك عن الأزواج المخدوعين ؟ انت نفسك زوج مخدوع . (هنيهة) سأستمع الى الأخبار .

(ينهض ويتجه نحو جهاز الراديو .)

كلوشه : ليس هناك اخبار .

لاندريو : أليس هناك اخبار ؟

كلوشه : لم تحن بعد الساعة .

لاندريو : هذا ما سنراه .

(يمسك الزر . موسيقى ، اصوات ضجيج .)

بلوران : انك تحطم آذاننا .

لاندريو : (مخاطباً الجهاز) يا لك من قـذِر ! (هنيهة) ان هذا لا يهمني ، وسأستمع الى الاذاعـة البريطانية . ما هو طول الموجة ؟

بلوران : واحد وعشرون متراً .

(لاندريو يدير الزر : خطاب باللغة التشيكية . لاندريو يأخذ في الضحك)

لاندريو : (ضاحكا :) هـــذه لغـة تشيكية ، اتـــدرك ذلك ؟ في هذه اللحظة يوجد شخص تشيكي يتكلم في لندن ! ان

العالم الكبير (يهز الجهاز) الا تستطيع التحـــدث بالافرنسية (يطفيء الجهاز) أعطني شراباً . (بلوران يصب له قدح خمر . يتجه نحوه ويشرب) ماذا نعمل هنا ؟

بلوران : هنا او في مكان آخر ...

لاندريو : اود ان اكون في المعمعة .

بلوران : اني ارتاب في ذلك .

لاندريو : بكل تأكيد ، اود ان اكون فيها . (يمسكه من ذراع سترته) لا تقل لي انني اخشى الموت .

بلوران : انا لا اقول شيئاً .

لاندريو : ما هو الموت ؟ ما هو ؟ لا بد من ان يدركنـا غداً او بعد ثلاثة اشهر .

كلوشه : (بحدة) ليس هـذا صحيحاً . ليس هـذا صحيحاً . سيُقذَف الانـكليز الى البحر .

لاندريو : الى البحر ؟ سيكون الانـكليز وراءك ، هنا في هذه القرية . وسيحمي الوطيس وتتساقط القنـابل على الكنيسة ودار البلدية . ما عساك فاعل يا كلوشه ؟ ستكون في الكهف ! هـــا ! هـــا ! في الكهف حيث سيلهو النـــاس جيداً ! (لبلوران) عندما يموت الانسان ... لقد ضاعت فكرتي . اسمع خبثاء الطابق العـــلوي ، سنصرعهم ، وذلك لا يبعث فيّ اي شعور ! لكل واحد دوره . هـــذا ما اقوله في نفسي . اليوم

دورهم وغداً دوري. اليس هذا طبيعياً ؟ انني انا طبيعي (يشرب) نحن بهائم . (لكلوشه) لماذا تتثاءب ؟

كلوشه : انني ضجر .

لاندريو: ما عليك الا ان تشرب. هل أشعر انا بالضجر ؟ انك تفضل ان تراقبنا ، انك تحرر تقريرك في فكرك (يصب قدح خمر ويقدمه الى كلوشه .) اشرب ، هيا اشرب !

كلوشه : لا استطيع لأن كبدي مريضة .

لاندريو : بل ستشرب هذا القدح والا قذفت به وجهك . (هنيهة . يمد كلوشه يده ويأخذ القدح ويشرب .) ها ! هـــا ! بهائم ، كلهم بهائم ، وهذا حسن جداً . (يسمع صوت خطوات شخص يمشي في العلية . الثلاثة يرفعون عيونهم . يصغون بصمت ثم يشيح لاندريو وجهـــه فجأة ويركض نحو الباب فيفتحه وينادي) كوربيه ! كوربيـــه ! (يظهر جندي) اذهب واسكتهم . اضربهم . (يخرج الجندي . لاندريو يغلق الباب ويعود الى رفاقه، الثلاثه يرفعون رؤوسهم ويصغون. صمت) ينبغي ان نرى وجوههم . يا له من نهار قذر !

بلوران : هل انت بحاجة اليّ لاستجوابهم ؟

لاندريو : وكيف ؟

بلوران : كنت افكـّر ان رئيسهم قـــد يكون مختبئاً في الغابة ، فلعلني اصطحب عشرين رجلًا واصطاده في مخبأه .

لاندريو : (ينظر اليه .) آه ؟ (هنيهه . يُسمع دائمـــاً وقـــع الخطـوات .) بل ستبقى هنا .

بلوران : حسناً . (يهز كتفيه .) اننا نضيع وقتنا .

لاندريو : هذا جائز ولكننا سنضيعه معاً .

(ينظرون الى السقف على الرغم منهم ويتبادلون الأجوبة التي تلي ، رافعي الرأس ، حتى تنقطع الضجة .)

كلوشه : لقد حان وقت انزال الصبي .

لاندريو : الصبي ، لا يهمني . انه الآخر الذي اريد ان احمله على الكلام .

بلوران : لن يتكلموا .

لاندريو : بل سيتكلمون . انما هم بهائم وينبغي ان نعرف كيف نأخذهم . ها ! اننا لم نضربهم كفاية . (تدافـع في العلية . ثم صمت. لاندريو مغتبط .) ما رأيك في الأمر ؟ ها هم قد هـدأوا . لا شيء يعادل الشدة .

(يبدو بوضوح ان العناء قد زال عنهم)

كلوشه : على كل حال ينبغي ان تبدأ بالصبي .

لاندريو : موافـق . (يذهب الى الباب .) كوربيه ! (ليس من جواب) كوربيه ! (خطوات مسرعـة في الممر . كوربيه يظهر .) اذهب وائتِ بالصبي .

كوربيه : الصبي ؟ لقد قتلوه

لاندريو : ماذا ؟

كوربيه : لقد قتلوه في اثناء الليل . وجدته وقـد تراخى رأسه على ركبتي اخته . وقد قالت انه كان نائماً . انه الآن بارد وتبدو على عنقه آثار اصابع .

لاندريو : آه (هنيهة) من الذي كان يمشي ؟

كوربيه : اليوناني .

لاندريو : حسناً . يمكنك ان تنصرف .

(كوربيه ينصرف . صمت . كلوشه يرفع رأسه نحو السقف على الرغم منه)

بلوران : (وقد انفجر) اثنتي عشرة رصاصة في جسمه فوراً. ينبغي ان لا نراه ثانية مطلقاً .

لاندريو : صه ! (يذهب لى الراديو ويدير الزر . فالس بطيء ثم يرجع الى المنبر ويصب لنفسه الشراب . في اللحظة التي يضع فيها قدحه يشاهد صورة « بتان ») انك ترى هذا ، ولكنك تنفض يديك منه . انك تضحي بنفسك، انك تهب نفسك لفرنسا ، ولكن التفاصيل لا تهمك . لقد دخلت في التاريخ ، انت . اما نحن ، فأننا نتمرغ في الاقذار . فيالها من قذارة !

(يقذف وجهه بقدح النبيذ)

كلوشه : لاندريو !

لاندريو : اذكر ذلك في تقريرك . (هنيهة . لقد هدأ بعد جهد. يعود الى بلوران) اثنتا عشرة رصاصة ، هذا غاية في السهولة، وهذا ما يتمنونه ، الا تفهم ذلك ؟

بلوران : هنيئاً لهم اذا كان هذا ما يتمنونه . ولكن يجب ان ننتهي منهم وان لا نراهم بعد الآن ابداً .

لاندريو : لا اريد ان يموتوا من غير ان يتكلموا .

بلوران : لم يبق لديهم ما يقولونه لنا . وقد تسنى لرئيسهم ، خلال الاربع وعشرين ساعة التي قضوها هنا ، ان يتدبر امره .

لاندريو : لا أهتم برئيسهم ، اريد ان يتكلموا !
بلوران : واذا لم يتكلموا ؟
لاندريو : لا تصدع رأسك .
بلوران : ولكن على كل حال ، ما رأيك اذا لم يتكلموا ؟
لاندريو : (صارخاً) قلت لك بان لا تصدع رأسك .
بلوران : اذن ، استقدمهم .
لاندريو : طبعاً سأستقدمهم .
(لا يبدي حراكاً . كلوشه يأخذ في الضحك)
كلوشه : ما قولك لو كانوا شهداء ؟
(لاندريو يذهب فجأة الى الباب)
لاندريو : احضرهم .
كوربيه (وقد ظهر) ثلاثتهم ؟
لاندريو : اجل ! ثلاثتهم .
(كلوشه يخرج)
بلوران : الفتاة ، كان بأمكانك ان تدعها فوق .
(صوت خطوات فوق رأسهم .)
لاندريو : انهم ينزلون . (يذهب الى الراديو ويوقفه) أذا سلموا رئيسهم ، فاني اترك حياتهم سالمة .
كلوشه : لاندريو ! انت مجنون !
لاندريو : إخرس !
كلوشه : انهم يستحقون الموت عشر مرات .
لاندربو : لا اهتم بما يستحقون . اريد ان يُذعنوا . لن ادعهم يتصرفون كالشهداء .
بلوران : انني .... اسمع ، انني لا استطيع تحمل ذلك .

اذا وجب عليَّ ان افكر بأنهم سيحيون وانهم قد يعيشون بعدنا وانّنا سنبقى طوال حياتهم هذه الذكرى في خيالهم ...

لاندريو : لا تهتم بذلك . فاذا تكلموا لينقذوا حياتهم فأنهم سيتجنبون هـــذا النوع من الذكرى . ها هم قـــد وصلوا

(بلوران ينهض فجأة ويخفي تحت الكرسي الزجاجات والاقداح . ينتظرون ثلاثتهم وقد وقفوا بلا حراك)

المشهد الثاني

الاشخاص انفسهم ، لوسي ، هنري ، كانوري ، ثلاثة جنود

(يتبادلون النظر بصمت)

لاندريو : الصغير الذي كان معكم ، ماذا فعلتم به ؟

(لا يحيرون جواباً)

بلوران : لقد قتلته !

لاندريو : صَه ْ (للآخرين) كان يريدان يتكلم ، أليس كذلك ؟ وكنتم انتم تريدون منعه من ذلك .

لوسي : (بعنف) ليس هذا صحيحاً . لم يكن يريد ان يتكلم . ما من احد كان يريد ان يتكلم .

لاندريو : اذن ؟

هنري : كان صغير السن ، ولم تكن ثمة حاجة لأن ندعه يتعذب .

لاندريو : من منكم اقدم على خنقه ؟

كانوري : لقد قررنا معاً ، ونحن كلنا مسؤولون .

لاندريو : حسناً . (هنيهة) اذا ادليتم بالمعلومات التي تطلب منكم ، فأن حياتكم ستبقى سليمة .

كلوشه : لاندريو !

لاندريو : قلت الك بأن تلزم الصمت (للآخرين) هل تقبلون؟ (هنيهة) اذن ؟ اتجيبون بلا ام نعم؟ (يلزمون الصمت. لاندريو يضطرب) انكم ترفضون ؟ اتضحون بثلاث حيوات لتنقذوا واحدة ؟ يا له من تصرف أخرق ! (هنيهة) انها هي الحياة التي اعرضها عليكم ! الحياة ! الحياة ! هل انتم صمٌ ؟ (صمت ، ثم تتقدم لوسي منهم .)

لوسي : لقد ربحنا ! لقد ربحنا ! ان هذه اللحظة تعوض علينا اشياء كثيرة . كل ما اردت ان انساه هذه الليلة ، اتذكره الآن وانا فخورة بذلك . لقد نزعوا ثوبي . (مشيرة الى كلوشه) كان هذا يجثم على ساقيّ (مشيرة الى لاندريو) وكان هذا يمسك بذراعيّ (مشيرة الى بلوران) وهذا ضاجعني عنوةً . استطيع البوحَ بذلك الآن . استطيع ان اصرخ في وجهكم : لقد هتكتم عرضي وانكم لتخجلون من ذلك . لقد غسلتُ العار . اين ملاقطكم وكلاباتكم ؟ اين سياطكم ؟ انكم في هذه الصبيحة تضرعون الينا ان نعيش . وجوابنا كلا ثم كلا ! ينبغي ان تنهوا عملكم .

بلّوران : كفى ! كفى ! اضربوهم !

لاندريو : توقفوا ! بلّوران ، قد لا ابقى مدة طويلة

رئيساً لكم، ولكني ما دمت اتولى قيادتكم فلن تُناقش اوامري. خذوهم .

كلوشه : الا تستأنف العمل معهم قليلًا ؟ فكل هذا ما هو الا كلمات : ليس الا كلمات تذهب مع الريح . (مشيراً الى هنري) لقد اتانا ، هذا، امسِ وكان في منتهى الاناقة، وقد جعلناه يصرخ كالنساء .

هنري : سترون اذا كنتم ستحملونني اليوم على الصراخ .

لاندريو : استأنف العمل معهم اذا كانت لديك الشجاعة الكافية .

كلوشه : حين يتعلق الامر بي ، فأنت تعلم ان ذلك لن يضايقني، حتى ولو كانوا شهداء. اني احب العمل بحد ذاته (للجنود) خذوهم الى الطاولات .

كانوري : لحظة . اذا قبلنا ، فما الذي يثبت لنا انكم ستتركون لنا حياتنا ؟

لاندريو : اني اقطع لكم العهد بذلك .

كانوري : اجل ، ينبغي الاكتفاء بذلك . فإما جهة السكة واما الوجه [١] . ما عساكم فاعلون بنا ؟

لاندريو : سأسلمكم للسلطات الألمانية .

كانوري : التي سترمينا بالرصاص .

لاندريو : كلا ! سأشرح لهم وضعكم .

كانوري : حسناً . (هنيهة) انا مستعدٌ للكلام اذا سمح لي

---

١ الطرة او النقشة كما تقول العامه .

الرفاق بذلك .

هنري : كانوري !

كانوري : الا استطيع الانفراد بهم ! اظن اني سأتمكن من اقناعهم .

لاندريو : (يحدق في وجهه) لماذا تريـــد الكلام ؟ اتخشى الموت ؟

(صمت طويل ، ثم يخفض كانوري رأسه .)

كانوري : اجل .

لوسي : يا لك من جبان !

لاندريو : حسناً . (الجنـود .) انت قف امام النافــــذة ، وانت احرس الباب ،وانتم انصرفوا.لديك ربع ساعة لاقناعهم .

(لاندريو وبلوران وكلوشه يخرجون من الباب الداخلي .)

المشهد الثالث

كانوري ، لوسي ، هنري

(اثناء الجزء الاول من المشهد ، تظل لوسي صامتة وتبدو انها لا تهتم بالنقاش .)

كانوري : (يذهب حتى النافذة ويعود. يعود اليهم وبصوت حاد ومنخفض) الشمس تغيب . ستمطِر السماء. هل انتم مجانين ؟ انكم تنظرون

اليّ كما لو كنت مزمعاً على تسليم رئيسنا . اريد ان ارسلهم الى كهف « سارڤاز » وحسب ، عملاً بنصيحة جان لنا (هنيهة . يبتسم) لقد الحقوا بنا بعض الاذى ، ولكننا لا نزال صالحين للعمل . (هنيهة) هيا ! ينبغي ان نتكلم : لا يجوز ان نفرط بثلاث حيوات . (هنيهة ، برفق) لماذا تريدون الموت ؟ وما جدوى ذلك؟ اجيبوا ، ما جدوى ذلك ؟

هنري : لا شيء .

كانوري : اذن ؟

هنري : انني مُتعب .

كانوري : وانا اكثر منك تعباً . فأنا اكبرك بخمس عشرة سنة ، وقد كانوا عليّ اقسى منك ولن أحسد على الحيـــاة التي سيتركونها لي .

هنري : (برفق) وهل تخشى الموت الى هذا الحد ؟

كانوري : لست خائفاً . لقد كذبت عليهم منذ قليل ولست خائفاً . ولكن لا يحق لنا ان نموت من اجل لا شيء .

هنري : آه ! ولمَ لا؟ لقد حطموا معصمي وانتزعوا جلدي : اتراني لم ادفع الثمن ؟ لقد كسبنا الجولة . لماذا تريد ان استأنف الحياة حين يكون بوسعي ان اموت منسجماً مع نفسي ؟

كانوري : هناك رفاق ينبغي مساعدتهم .

هنري : اي رفاق ؟ واين ؟

كانوري : في كل مكان .

هنري : كلام ! اذا ما عفوا عنا ، فسيبعثون بنا الى مناجم الملح .

كانوري : وساعتذاك نهرب .

هنري : أأنت تهرب ولم تعد الا خرقة ؟

كانوري : ان لم يكن انا ، فستكون انت .

هنري : حظ واحد على مئة .

كانوري : هذا يكفي المغامرة . وحتى اذا لم نهرب ، فهناك اناس آخرون في المناجم : كهول مرضى ونساء لا يطيقون الشدة، وهؤلاء جميعاً بحاجة الينا .

هنري : اسمع ، حين شاهدت الصغير ملقىً على الارض وقد ابيضّ تماماً ، فكرت بأنني عملت ما عملت وانني لا اندم على شيء. انما كنت افترض ، بالطبع ، انني سأموت من الضجر . ولو لم افكر بأننا سنصبح بعد ست ساعات على كومة الزبل نفسها ... (صارخاً) لا اريد ان احيا بعده ، لا اريد ان احيا ثلاثين سنة بعد هذا الصبي . كانوري ، سيكون الأمر على غاية من السهولة : لن يكون لدينا حتى الوقت لرؤية انابيب بنادقهم .

كانوري : ليس من حقنا ان نموت من اجل لا شيء .

هنري : ما معنى الحياة حين يكون ثمة اناس ينهالون عليك بالضرب حتى يحطموا عظامك؟ ان كل شيء أسود (ينظر من النافذة) انت على حق ، سيهطل المطر .

كانوري : لقد تلبدت السماء تماماً ، وستمطرنا وابلًا غزيراً .

هنري : (فجأة) لقد كان ذلك بدافع الكبرياء .

كانوري : ماذا ؟

هنري : الصغير . اظن اني قتلته بدافع الكبرياء .

كانوري : ان هذا لا يقدّم ولا يؤخر ، فقد كان ينبغي ان يموت .

هنري : سأجرُّ هذا الشك ككرة من حديد . وفي كل لحظة من لحظات حياتي سأتساءل عن نفسي (هنيهة) لا أستطيع ! لا استطيع الحياة .

كانوري : يا لها من حكايات ! سيشغلك الناس كفاية ، ستنسى نفسك ... انك تُغالي بالاهتمام بنفسك يا هنري . انت تريد ان تنقذ حياتك ؛ باه ! ينبغي ان نعمل . فاذا انقذنا انفسنا كان ذلك افضل ! (هنيهة) اسمع يا هنري : اذا ما مُتّ اليوم فقد انتهى الأمر ، وسيرسخ في الأذهان الى الأبد انك قتلته بدافع الكبرياء . واذا ما عشت ...

هنري : ماذا يحدث ؟

كانوري : عندئذ لا يتقرر شيء ، وانما يُحكم على كل عمل من اعمالك بالنسبة الى حياتك كلها . (هنيهة) اذا ما تركتهم يقتلونك عندما يكون بوسعك ان تواصل العمل ، فلن يكونَ ثمّةَ شيء محالٌ اكثر من موتك . (هنيهة) أأناديهم ؟

هنري : (مشيراً الى لوسي) عليها ان تبُتّ بالأمر .

كانوري : اتسمعين يا لوسي ؟

لوسي : أبتُّ بأي أمر ؟ اجل ! لقد تقرر كل شيء . قل لهم اننا لن نتكلم ، وان عليهم ان يسرعوا .

كانوري : والرفاق يا لوسي ؟

لوسي : لم يبق لي رفاق (تذهب نحو الجنود) اذهبوا ونادوهم .

اننا لن نتكلم .

كانوري : (يتبعها ، ثم مخاطباً الجنود) بقي خمس دقائـــق . انتظروا .

(يعيدها الى الجهة الامامية من المسرح)

لوسي : خمس دقائق . اجل . وماذا تأمل ؟ ان تُقنعني في خمس دقائق ؟

كانوري : اجل .

لوسي : ما اطهرَ قلبــك ! تستطيـــع انت ان تعيش . ان ضميرك هادىء ، لقد عذّبوك قليـلاً ، هـذا كل مـــا في الأمر . اما انا فقد أذلـّوني ، فليس في جسدي فترٌ لا يثـــير اشمئزازي (لهنري) وانت ، انت الذي تتـكلف المظاهر لأنك خنقت صبياً ، ألا تذكر ان هذا الصبي كان اخي ، وانني لم اقل شيئاً ؟ لقد اخذت الامر كله على عاتقي ، فينبغي ان أحذف من الوجود ، ومعي هذا الاذى كله . اليكم عني ! انصرفوا الى الحياة ما دمتم تطيقون ان تقبلوا انفسكم . اما انا فأني اكره نفسي واتمنى بعد موتي ان يصبح كل شيء على الارض كما لو انني لم أُخلق قط .

هنري : لن اتركك يا لوسي ، وسأنفـّذ ما سوف تقررينه .

(هنيهة)

كانوري : ينبغي اذن ان اخلـّصكم على الرغم منكم .

لوسي : ستتكلم ؟

كانوري : لا بد من ذلك .

لوسي : (بعنف)سأقول لهم انك تكذب وان مزاعمك محض

اختلاق (هنيهة) لو علمتُ انك ستبدلي بأعترافاتك ، اتظن انني كنت تركتك تمسّ اخي ؟

كانوري : ان اخاكِ كان يريـد ان يُسلـِّم رئيسنا . اما انا فأني اريد ان اضللهم .

لوسي : النتيجة واحدة ، وستنتشي اعينهم بالنصر نفسه .

كانوري : لوسي ! اتكونين اذن قد تركت اخاكِ يمـــوت بدافع الكبرياء ؟

لوسي : انك تضيع وقتـــك ، ولن تستطيع ان تبعث في نفسي الندم .

جندي : يبقى لكم دقيقتان .

كانوري : هنري !

هنري : سأنفذ ما سوف تقرره .

كانوري : (للوسي) لماذا تهتمين بهؤلاء الرجال ؟ بعـد ستة اشهر، سوف يختبئون في كهف، واول قنبلة ستلقى عليهم من كُوّة ذلك الكهف ستضع حداً لهذه الحكاية برمتها . ان الباقي هو الذي ينبغي ان يُحسب له الحساب : العالم وما تعملـــين في العالم ، والرفاق وما تعملين من اجلهم .

لوسي : انني جافة ، انني وحيدة ، وانا لا استطيـع ان افكر الا في نفسي .

كانوري : (برفق) احقاً انك لا تأسفين على شيء في هـــذا العالم ؟ .

لوسي : اجل ، فكل شيء مسمّم .

كانوري : واذن ..

(حركة اذعان . يخطو خطوة من الجنود . المطر يهطل . تبتـدىء القطرات خفيفة متباعدة ثم تصبح كبيرة عجلى)

لوسي : (بحدة) ماهــذا ؟ (بصوت خافت وبطيء) المطـر (تتجه الى النافذة وتتأمل هطول المطر . هنيهة) منذ ثلاثـة اشهر لم اسمع صوت المطر . (هنيهة) يا الـهي ! وخـلال ذلـك الوقت كله كان الطقس جميلاً.ان هذا لفظيـع . بِتُّ لا اتذكر. كنت اظن انه ينبغي ان نعيش دائمـاً تحت الشمس . (هنيهة) المطر يهطل بغزارةوستعبق رائحة الأرض المبلّلة(شفتاها ترتجفان) لا اريد ... لا اريد (هنري وكانوري يقـتربان منها)

هنري : لوسي !

لوسي : لا اريد ان ابكي ، والا اصبحت كالبهـائم . (هنري يأخذها بين ذراعيه) اتركني (صارخة) كنت احب ان اعيش ، كنت احب ان اعيش . (تنتحب على كتف هنري)

الجندي : (متقدماً) اذن ؟ لقد ازفت الساعة .

كانوري : (بعد ان يلقي نظرة على لوسي) اذهب وقـل لرؤسائك اننا سنتكلم .

(يخرج الجندي . هنيهة)

لوسي : (وقد استعادت رباطة جأشها)هل هذاصحيح ؟ سنعيش؟ كنت قد اصبحت في الجانب الآخر ... انظر اليّ وابتسم لي . منذ زمن بعيد لم ارَ ابتسامة .. اترانا نحسن التصرّف يا كانوري؟ هل نحسن التصرف ؟

كانوري : اننـا نُحسِن التصرف . ينبغي ان نعيش

(يتقدم من احد الجنود) اذهب وقل لرؤسائك اننا سنتكلم .
(يخرج الجندي)

المشهد الرابع

الاشخاص انفسهم ، لاندريو ، بلّوران ، كلوشه

لاندريو : واذن ؟

كانوري : على طريق غرنوبل ، عند العلامة ٤٢ ، اسلكوا الطريق للجهة اليمنى . وبعد ان تسيروا خمسين متراً في الحرج ، تجدون غابة ووراء الغابة كهفاً . ان الرئيس يختبيء هناك مع كمية من الذخيرة .

لاندريو : (للجنود) ينبغي ان يتوجه عشرة رجال في الحال. حاولوا ان تأتوا به حياً (هنيهة) خذوا السجناء الى الطابق العلوي .
(الجنود يخرجون السجناء . كلوشه يتردد لحظة ثم ينسل وراءهم)

المشهد الخامس

لاندريو ، بلوران ، ثم كلوشه

بلوران : اتعتقد انهم ادلوا بالحقيقة ؟

لاندريو : طبعاً — انهم بهائم (يجلس وراء المنضدة) ارأيت ؟ لقد تغلبنا عليهم في النهاية . هل لاحظت كيف خرجوا ؟ كانوا اقل غطرسة مما كانوا ساعة دخولهم . (كلوشه يعود بلطف) واذن يا كلوشه ؟ لقد تغلبنا عليهم ؟

كلوشه (يفرك يديه وقد بدا شارد الفكر) اجل ، اجل ، لقد تغلبنا عليهم .

بلّوران : (للاندريو) اتدعهم يعيشون ؟

لاندريو : على كل حال، الآن ..(طلقات بنادق تحت النوافذ) ما هذا ..؟

(كلوشه يضحك وراء يده وقد بدا مرتبكا) كلوشه ! اتكون قد ..

(كلوشه يشير بالايجاب وهو يستمر في الضحك)

كلوشه : لقد فكرت ان ذلك اكثر انسانية .

لاندريو : يالك من قذِر !

(طلقات بنادق للمرة الثانية. يعدو نحو النافذة)

بلوران : لا تهتم بالامر بعد ، ليس هناك اثنان إلا ووراءهما ثالث .

لاندريو : لا اريد ...

بلوران : ستكون سحنتنا لطيفة في عيني من سيعيش منهم ...

كلوشه : بعد لحظة ، لن يفكر احدٌ بعد بشيء من هذا كله . لن يفكر احدٌ سوانا .

(طلقات بنادق للمرة الثالثة . لاندريو يهوي جالساً)

لاندريو : اف !.

(كلوشه يذهب الى الراديو ويدير الازرار . موسيقى)

ستار

البغي الفاضلة

مسرحية في فصل واحد ولوحتين

الاشخاص

ليزي
الزنجي
فراد
جون
جيمس
عضو مجلس الشيوخ
رجل اول
رجل ثانٍ
رجل ثالث

الديكور : غرفة مؤثثة في مكان ما من جنوبي الولايات المتحدة .

اللوحة الاولى

غرفة في مدينة اميركية من مدن الجنوب . جدران بيض. ديوان . نافذة الى اليمين ، والى اليسار باب (حمّام).في الداخل غرفة انتظار صغيرة تطل على باب الدخول .

المشهد الأول

ليزي ، ثم الزنجي

(قبل ان يرتفع الستار ، تسمع زمجرة عاصفة على المسرح . ليزي وحدها في قميص النوم تشغل المكنسة الكهربائية . يقرع الجرس ، فتتردد وتنظر الى باب الحمام . يقرع الجرس مرة اخرى ، فتقف المكنسة الكهربائية وتتجه الى باب الحمام فتشقه)

ليزي (بصوت خافت) — إن الجرس يقرع ، فلا تظهر نفسك. (تذهب لتفتح الباب . يبدو الزنجي في اطار الباب . انه زنجي طويل سمين ذو شعر اشيب ، ينتصب جامداً) ما هذا ؟ لابد انك اخطأت العنوان (فترة) ولكن ماذا تريد ؟ لقد آن لك ان تتكلم .

الزنجي (مبتهلا) — ارجوك يا سيدتي ، ارجوك .

ليزي — فيمَ ترجوني ؟ (تحدق اليه النظر) انتظر . أأنت الذي كنت في القطار ؟ هل استطعت ان تفر منهم ؟ وكيف وجدت عنواني ؟

الزنجي — لقد بحثت عنه يا سيدتي . بحثت عنه في كل مكان (يتحرك ليدخل) ارجوك .

ليزي – لا تدخل. إن عندي رجلًا. ولكن ما الذي تريده؟

الزنجي – ارجوك .

ليزي – ولكن ماذا ، ماذا ؟ هل تريد مالاً .

الزنجي – لا يا سيدتي (فترة) ارجوك ، قولي له اني لم افعل شيئاً .

ليزي – لمن اقول ذلك ؟

الزنجي – للقاضي ، قوليه له يا سيدتي . ارجوك ، قوليه له .

ليزي – لن اقول شيئاً على الاطلاق .

الزنجي – ارجوك .

ليزي – على الاطلاق . إن لي في حياتي الخاصة ما يكفيني من المضايقات ، ولا اريد ان اضيف اليها مضايقات الآخرين . اذهب عني !

الزنجي – انت تعلمين اني لم افعل شيئاً . هل فعلت شيئاً ؟

ليزي – لم تفعل شيئاً ، ولكني لن اذهب الى القاضي . انني اقيئهم من منخريّ ، القضاة ورجال الشرطة .

الزنجي – لقد تركت زوجتي واولادي . ورحت اطوّف طوال الليل ، فنفدت طاقتي كلها .

ليزي – اترك المدينة .

الزنجي – انهم يترصدون في المحطات .

ليزي – من الذي يترصد ؟

الزنجي – البيض .

ليزي – اي بيض ؟

الزنجي – جميـع البيض ، الم تخرجي هذا الصباح ؟

ليزي – لا .

الزنجي – ان في الشوارع كثيراً من الناس،شباباً وشيوخاً ، وانهم ليلتقون ويتحدثون من غير ان يعرف بعضهم بعضاً .

ليزي – وما معنى ذلك ؟

الزنجي – معنى ذلك انه لم يبق لي الا ان اعدو هارباً حتى يقبضوا علي . حين يبـــدأ البيض الذين لا يعرف بعضهم بعضاً يتحدثون فيما بينهم ، فهناك زنجي سيموت (فترة) قولي اني لم افعل شيئاً يا سيدتي . قولي ذلك للقاضي ، قوليه لأصحاب الجريدة ، فربما طبعوه . قوليه يا سيدتي ، قوليه ، قوليه .

ليزي – لا تصرخ هكذا . ان عنـدي رجـلًا . (فترة) فيما يخص الجريدة ، لا تعتمد عليّ . فليس هذا وقت تفتيح العيون عليّ . (فترة) ولكن اذا قسروني على الشهادة ، فأعـــدك باني سأقول الحقيقة .

الزنجي – اتقولين لهم اني لم افعل شيئاً ؟

ليزي – سأقول لهم .

الزنجي – اتقسمين لي على ذلك يا سيدتي ؟

ليزي – نعم ، نعم .

الزنجي – بالله العظيم الذي يرانا ؟

ليزي – اوه ! حلّ عن ظهري. انني اعدك بذلك ، وينبغي ان يكفيك هذا . (فترة) ولكن اذهب ، آن لك ان تذهب !

الزنجي (فجأة) ارجوك ، خبئيني .

ليزي ــ اخبئك ؟

الزنجي ــ الا تريدين يا سيدتي ؟ الا تريدين ؟

ليزي ــ اخبئك انا ؟ عجبـــاً ! (تصفق الباب في وجهه) حسبي مشاكل (تنتقل نحو الحمام) بوسعك ان تخرج .

(يخرج فراد بقميصه لا ياقة ولا ربطة عنق)

المشهد الثاني

ليزي ، فراد

فراد ــ ما كان هناك ؟

ليزي ــ لم يكن هناك شيء .

فراد ــ كنت احسب انها الشرطة .

ليزي ــ الشرطة ؟ أيكون لك شأن ما مع الشرطة ؟

فراد ــ انا ، لا . كنت احسب ان ذلك يعنيك .

ليزي ــ (مغتاظة) ماذا تقول ؟ انني لم آخذ فلساً واحداً من اي انسان !

فراد ــ ولم تكن لك اية قضية مع البوليس ؟

ليزي ــ ليس من اجل سرقات ، على اي حال .

(تنهمك في تشغيل المكنسة الكهربائية . قصف عاصفة)

فراد ــ (منزعجاً من الضجيج) ــ ها !

ليزي – (صائحة لتسمعه صوتها) ماذا تريد يا حبيبي ؟

فراد (صائحاً) – انك تحطمين سمعي .

ليزي (صائحة) اوشك ان انتهي (فترة)انني هكذا .

فراد (صائحاً) – كيف ؟

ليزي (صائحة) – اقول لك انني هكذا .

فراد (صائحاً) – كيف ؟

ليزي (صائحة) – هكذا . في صباح اليوم التالي ، لا بد لي من ان اخذ حماماً واشغل المكنسة الكهربائية (تترك المكنسة الكهربائية)

فراد (مشيراً الى السرير) ما دمت تشتغلين ، ألقي الغطاء على هذا .

ليزي – على اي شيء ؟

فراد – على السرير . اقول لك ان القي عليه الغطاء . ان رائحة الاثم لتفوح منه .

ليزي – الاثم؟من اين تأتيني بهذا الكلام ؟ هل انت اسقف؟

فراد – لا ، لماذا ؟

ليزي – انك تتكلم كالتوراة (تنظر اليه) لا لست اسقفاً : فانت تسرف في العناية بنفسك. ارني خواتمك. (باعجاب) اوه ... ما هذا ؟ هل انت غني ؟

فراد – نعم .

ليزي – غني جداً ؟

فراد – جداً .

ليزي – هـذا حسن . (تحيط عنقه بذراعيها وتمد له شفتيها) انني

اجد ان من الخير لرجل ان يكون غنياً ، فان ذلك يوحي الثقة.
(يتردد في تقبيلها ، ثم يستدير.)

فراد — القي الغطاء على السرير .

ليزي — حسناً ! حسناً ! حسناً سأغطيه. (تغطيه وتضحك لنفسها) « ان رائحه الاثم تفوح منه » ! لم يكن بوسعي ان اهتدي الى مثل ذلك، ولكن قل لي يا عزيزي: إنه « إثمك» (حركة من فراد) نعم ، نعم : إنه إثمي ايضاً .ولكنّ على ضميري آثاماً كثيرة ... (تجلس على السرير وتقسر فراد على الجلوس بجانبها) تعال .تعال فأجلس على « اثمنا » . لقد كان اثماً جميلاً ، اليس كذلك ؟ اثماً مفضلاً ؟ (تضحك) ولكن لا تخفض عينيك . هل تراني أخيفك ؟ (يضم فراد اليه بقسوة) انك توجعني ! انك توجعني ! (يتركها) ما اغربك من رجل ! انت لا تبدو انساناً طيباً (فترة) قل لي ما هو اسمك. الا تريد ؟ اتعرف انه يزعجني الا اعرف اسمك ؟ سيكون هذا حسناً في المرة الاولى . من النادر ان يقولوا اسم الاسرة ، وانا افهم سبب ذلك . اما الاسم الاول ؟ كيف تريد ان اميز احدكم عن الآخر اذا لم اعرف اسماءكم الاولى ؟ قل لي ما هو اسمك ، قله لي يا حبيبي .

فراد — لا اريد .

ليزى — ستكون إذن « السيد » الذي لا اسم له (تنهض) انتظر . سأنتهي من الترتيب (تنقل بعض الاشياء) حسناً كل شيء منتظم الآن . الكراسي محيطة بالطاولة: إن هذا لآنق والطف. الا تعرف بائعاً للصور المنقوشة ،اود ان اعلق صوراً على الجدار

وان في حقيبتي صورة جميلة اسمها «الجرة المكسورة» ويرى فيها فتاة قد كسرت جرتها ، المسكينة ، صورة فرنسية .

فراد – اية جرة ؟

ليزي – لا ادري : جرتها . لا بد ان لها جرة . اريدصورة جدّة عجوز تكون ندّاً لها ؛ جدة تخيط او تحكي لاحفادهاقصة . آه ! سأكشف الستار وافتح النافذة . (تقوم بذلك) اي طقس رائع ! هذا يوم يبتديء . (تتمطى) ها ! اني اشعر برضى غامر : ان الطقس جميل ، وقد اخذت حماماً منعشاً ، وضاجعت جيداً فما اشد رضاي ، وكم احسّني سعيدة ! تعال فانظرما اجمل الرؤية من هنا . ان لدي مطلاً رائعاً . ليس الا الاشجار ، وان هذا ليغني المنظر . الحق ان حظي كان عظيما : فقد وجدت سريعاً غرفة في الاحياء الراقية . الا تأتي لترى ؟ اراك لا تحب مدينتك؟

فراد – احبها من نافذتي .

ليزي (فجأة) – احسب انه لا مجال للتطيّر من رؤية زنجي عند اليقظة ؟

فراد – لماذا ؟

ليزي – انني ... ان هناك زنجياً يمر على الوصيف المقابل .

فراد – إن من الشؤم دائماً ان يرى احدنا زنوجاً . ان الزنوج هم الشيطان . (فترة) اغلقي النافذة .

ليزي – الا تريد ان يدخل الهواء الغرفة ؟

فراد – اقول لك ان اغلقي النافذة حسناً . وأسدلي الستائر واضيئي النور من جديد .

ليزي – لماذا بسبب الزنوج ؟

فراد – بلهاء !

ليزي – ان السماء مشرقة بشمس رائعة .

فراد – ليس من شمس هنا . اريد ان تظل غرفتك كما كانت هذه الليلة . اقول لك ، اغلقي النافذة . اما الشمس ، فسأجدها خارجاً . (ينهض فيتجه اليها ويحدد بصره فيها)

ليزي – (قلقة قلقا مبهما) – ماذا دهاك ؟

فراد – لا شيء . أعطيني ربطة عنقي .

ليزي – انها في الحمام (تخرج . يفتح فراد بسرعة ادراج الطاولة ويعيث فيها . تعود ليزي ومعها ربطة العنق) ها هي ذي ! انتظر . (تعقدها له) اسمع . اني لا ارضى غالباً « بالزبون العابر » حتى لا ارى المزيد من الوجوه الجديدة . ان قصارى ما اطلبه ان اتعود ثلاثة رجال او اربعة معتدلي السن ، واحداً ليوم الثلاثاء ، والثاني للخميس والثالث لعطلة الاسبوع . اقول لك هذا : انت ما زلت شاباً ، ولكن الرصانة تبدو عليك ، فاذا رغبت احياناً . . . حسناً حسناً ، فلن اقول بعد شيئاً . ولكنك ستفكر بذلك ! ها ، ها . . . انك جميل كالكوكب . قبّلني يا جميلي . قبلني للمكافأة . الا تريد ان تقبلني ؟ (يقبلها فجأة بوحشية ثم يدفعها عنه) اوف !

فراد – إنكِ الشيطان .

ليزي – ماذا ؟

فراد – انكِ الشيطان .

ليزي – عدنا الى التوراة ! ماذا دهاك ؟

فراد – لا شيء . كنت اضحك .

ليزي – ان لك طرقاً عجيبة في الضحك (فترة) هل انت مسرور ؟

فراد – مسرور مِمّ ؟

ليزي (تقلده وهي تبتسم) – مسرور ممّ ؟ ما اشد بلهك ، يا صغيري !

فراد – آه ! آه نعم ... مسرور جداً ، مسرور جداً . كم تريدين ؟

ليزي – من الذي يسأل عن هذا؟اسألك ان كنت مسروراً، فبوسعك ان تجيبني بلطف . ما بالك ؟ الست مسروراً حقاً ؟ اوه! إن ذلك لو صحّ لأثار دهشتي ، لأثار دهشتي !

فراد – اغلقي فمك .

ليزي – لقد كنت تشدّني اليك بقوة ، بقوة عظيمة ، ثم قلت لي بصوت خافت انك تحبني .

فراد – كنت ثملة .

ليزي – لا ، لم اكن ثملة .

فراد – بلى ، كنتِ ثملة .

ليزي – قلت لك انْ لا .

فراد – على اي حال ، كنت انا ثملاً ، ولا اذكر شيئاً بعد.

ليزي – ان هذا لمؤسف : لقد نزعت ثيابي في الحمام ، وحين عدت اليك صبغ وجهك كله الاحمرار ،الا تذكر ؟ الا تذكر

ايضاً انني قلت : « هذا هو سرطاني » . الا تذكر انك اردت ان تطفيء النور وانك ضاجعتني في الظلام ؟ لقد وجدت ذلك لطيفاً منك وشريفاً . الا تذكر ؟

فراد - كلا

ليزي - وحين كنا نمثل دور الواليدين في سرير واحد ؟ هذا ، تذكره ؟

فراد - اقول لك ان سدّي فمك . ان ما يُفعل في الليل يخص الليل . وهو لا يُتحدث به في النهار .

ليزي (بتحد) واذا كان يروق لي ان اتكلم عنه ؟ اتدري اني تسليت كثيراً ؟

فراد - آه ! تسليت كثيراً ! (يمشي اليها فيلامس كتفيها بملاطفة ويطبق يديه حول عنقها) إنه يسليك دائماً ان تظني انك تعذبين رجلاً . (فترة) لقد نسيتها ، ليلتك . نسيتها تماماً . كل ما اتمثله هو المرقص . اما الباقي ، فانت التي تذكرينه ، انت وحدك (يضغط على عنقها)

ليزي - ماذا تفعل ؟

فراد - اضغط على عنقك .

ليزي - انك توجعني .

فراد - انتِ وحدك . اذا الححت في ضغطي قليلاً بعد ، فلن يبقى احد في الدنيا يذكر هذه الليلة (يتركها) كم تريدين ؟

ليزي - إذا نسيت ، فهذ يعني اني اسأت عملي . ولا اريد ان تدفع اجرة امر أُسيء فعله .

فراد - لا حاجة الى هذا الكلام : كم تريدين ؟

ليزي - اسمع ما اقوله لك ، انني هنا منذ اول امس ، وانت اول من يزورني . وانا اسلّم نفسي مجاناً للاول ، فان ذلك فأل حسن .

فراد - لا حاجة بي الى هداياك . (يضع ورقة من فئة عشرة دولارات على الطاولة)

ليزي - لست اريدها ، ورقتك المالية هذه . ولكني اود ان ارى ما هو المبلغ الذي تقدّرني به . انتظر حتى احزر ! (تأخذ الورقة وتغمض عينيها) اربعون دولاراً ؟ لا ، هذا اكثر مما ينبغي ، ثم انه كان يكون هناك ورقتان . عشرون دولاراً ؟ ولا هذه ايضاً . واذن، فهي اكثر من اربعين دولاراً . خمسون مئة ؟ (ينظر اليها فراد في هذه الاثناء وهو يضحك بسكون) اياً ما كان، انني افتح عيني (تنظر الى الورقة) الا تراك مخطئاً ؟

فراد - لا اعتقد .

ليزي - اتعرف ما اعطيتني ؟

فراد - نعم .

ليزي - خذها . خذها فوراً . (يرفضها بحركة من يده) عشرة دولارات ! عشرة دولارات ! إن فتيات مثلي يدخلنها في مؤخرتك ، هذه الدولارات العشرة ! لقد رأيتهما ، فخذيّ ؟ (تريه اياهما) ونهديّ ، رأيتهما ايضاً ؟ اهما نهدان من فئة الدولارات العشرة ؟ خذ ورقتك وانسحب قبل ان انخرط في الغضب ! عشرة دولارات ! كان « السيد » يقبلني في كل مكان

وكان « السيد » يريد ان يعيد العمل ، وقد سألني « السيد » أن اروي له قصة طفولتي ؛ وهذا الصباح ، كان «السيد» يكشر في وجهي ، كما لو انه يدفع لي مشاهرة : كل هذا ما ثمنه ؟ ليس هو اربعين ، ولا ثلاثين ، ولا عشرين ؛ وانما « عشرة» دولارات .

فراد ـ إن هذا اكثر مما ينبغي لعمل خنزيري كهذا !

ليزي ـ انت نفسك الخنزير ! من اين انت آت ايها الفلاح الجلف ؟ لا بد ان امك امرأة ساقطة متكبرة ... اذ هي لم تعلمك احترام النساء .

فراد ـ هل ستخرسين ؟

ليزي ـ امرأة ساقطة متكبرة ! امرأة ساقطة متكبرة !

فراد (بصوت ابيض) نصيحة يا صغيرتي : لا تحدثي ابناء بلدتنا عن امهاتهم كثيراً ، اذا كنت لا تريدين ان يخنقوك .

ليزي (متجهة اليه) اخنقني اذن ! اخنقني لنرى !

فراد (متراجعاً) ظلي على هدوئك . (تتناول ليزي اناء فخارياً من على الطاولة بنية واضحة لان تحطمه على رأسه) هذه عشرة دولارات اخرى ، ولكن احتفظي بهدوئك . احتفظي بهدوئك او أصفي امرك .

ليزي ـ انت تصفي امري ؟

فراد ـ انا .

ليزي ـ انت !

فراد ـ انا .

ليزي ـ إن هذا يدهشني حقاً .

فراد – انني ابن كلارك .

ليزي – اي كلارك ؟

فراد – عضو مجلس الشيوخ .

ليزي – حقاً ؟ اما انا ، فاني ابنة روزفلت !

فراد – الم تري صورة كلارك في الصحف ؟

ليزي – بلى ... وبعد ؟

فراد – هذا هو (يظهر صورة) انني الى جانبه ، وهو واضع يده على كتفي .

ليزي (هادئة فجأة) ها ها ... انه لجميل الصورة ، ابوك ، دعني ارى .

فراد – (ينتزع الصورة من يدها) – حسبك هذا .

ليزي – إنه حقاً معجِب . فهو يبدو صارماً شديد الأسر ! هل صحيح ما يقال من ان حديثه من عسل ؟ (لا يجيب) وهذه الحديقة ، هل هي الك ؟

فراد – نعم .

ليزي – يبدو انها كبيرة جداً . وهاتيك الصغيرات على المقاعد ، هل هن اخواتك ؟ (لا يجيب) . هل يقوم بيتك على الرابية ؟

فراد – نعم .

ليزي – وإذن فان بوسعك ، حين تتناول فطورك في الصباح ان ترى المدينة كلها من نافذتك ؟

فراد – نعم .

ليزي – هل يقرع الجرس لاستدعائكم في ساعات وجبات الطعام ؟ اعتقد ان بوسعك ان تجيب .

فراد – يُضرب على اسطوانة معدنية .

ليزي – (بحماسة) على اسطوانة معدنية . اني لا افهمك . لو كان لي انا مثل هذه الاسرة ومثل ذلك البيت ، لوجب ان يدفعوا لي من اجل ان انام خارجاً (فترة) اما بشأن امك ، فاعتذر عما قلت : لقد كنت غاضبة . هل هي موجودة في الصورة ايضاً ؟

فراد – لقد منعتك من ان تحدثيني عنها .

ليزي – حسناً ، حسناً . (فترة) هل استطيع ان اطرح عليك سؤالاً ؟ (لا يجيب) اذا كنت تشمئز من الحب ، فلماذا اتيت تفعل عندي ؟ (لايجيب. تتنهد) على اي حال ! ما دمت هنا فسأحاول ان اتعود على تصرفاتك .

(فترة . فراد يمشط شعره امام المرآة)

فراد – هل انت آتية من الشمال ؟

ليزي – نعم .

فراد – من نيويورك ؟

ليزي – ماذا عسى ذلك ان يهمك ؟

فراد – لقد تحدثت منذ لحظة عن نيويورك .

ليزي – إن بوسع الناس جميعاً ان يتحدثوا عن نيويورك ، فان ذلك لا يثبت شيئاً .

فراد – لماذا لم تبقي هناك ؟

ليزي – لقد مللتها .

فراد – لقد اورثتك هموماً ؟

ليزي – طبعاً : انني اجلبها إليّ ، الهموم . هناك طبائع هكذا . اترى هذه الافعى؟ (تريه السوار في معصمها) انها تحمل الشؤم .

فراد – ولم تلبسينها ؟

ليزي – ما دامت الآن معي ، فينبغي ان احتفظ بها . يبدو ان انتقام الافاعي شيء مريع .

فراد – هل انت التي حاول الزنجي ان يغتصبها ؟

ليزي – ماذا تقول ؟

فراد – هل وصلت امس الاول بقطار الساعة السادسة السريع ؟

ليزي – نعم .

فراد – إذن ، فانت إياها .

ليزي – لم يحاول احد ان يغتصبني . (تضحك ببعض المرارة) يغتصبني ! هل تدرك ذلك ؟

فراد – انكِ اياها ، لقد قال لي ذلك « وبستر » في المرقص امس .

ليزي – وبستر ؟ (فترة) إن الامر اذن لكذلك !

فراد – ماذا ؟

ليزي – من اجل هذا كانت عيناك تلتمعان . لقد كان ذلك يثير شهوتك ، اليس كذلك ؟ قذر ! وانت ابن اب محترم

كأبيك !

فراد — بلهاء ! (فترة) لو فكرت بانك ضاجعت زنجياً ...

ليزي — وإذن ...

فراد - ان عندي خمسة من الخدم الزنوج . حين استدعى الى التلفون ، فيتناول احدهم سماعته فهو يمسحها قبل ان يمدها لي.

ليزي (بصفرة اعجاب) — فهمت .

فراد (على مهل) — اننا هنا لا نحب الزنوج كثيراً . ولا النساء البيضاوات اللواتي يتسلين معهم .

ليزي — يكفي . ليس عندي ما اؤاخذهم عليه ، ولكني لا اريد ان يمسوني .

فراد — من يدري ؟ انك الشيطان . والزنجي هو الشيطان ايضاً ... (فجأة) اذن ؟ لقد اراد ان يغتصبك ؟

ليزي — ولكن ما عسى ذلك ان يهمك ؟

فراد — لقد صعد زنجيان الى حافلتك ، وبعد لحظة ارتميا عليك ، فصحت مستنجدة ، فأقبل بعض البيض . واذ ذاك نزع احد الزنجيين موساه فارداه رجل ابيض بطلقة من مسدسة . اما الزنجي الآخر ، فقد لاذ بالفرار .

ليزي — هذا ما رواه لك وبستر ؟

فراد — نعم .

ليزي — وكيف عرفه ؟

فراد — إن المدينة كلها تلفظ بذلك .

ليزي — المدينة كلها ؟ إنه شؤمي دائماً . ولكن اليس لكم

شيء آخر تعملونه ؟

فراد — هل حدثت الامور كما قلت ؟

ليزي — على الاطلاق . كان الزنجيان هادئين في وقفتهما يتكلمان ، بل انهما لم ينظرا الي . وفيما بعد ، صعد اربعة من البيض فشدني اثنان منهما اليهما. كانا قد ربحا مباراة في « الروغبي » وكانا ثملين . وقد قالوا ان هناك ريح زنوج ، وارادوا ان يقذفوا بالاسودين من الباب ، ولكن هذين دافعا عن انفسهما في حدود طاقتهما ، واخيراً تلقى احد البيض ضربة قبضة على عينه فاخرج مسدسه واطلق رصاصة . هذا كل شيء . اما الزنجي الآخر فقد قفز من القطار اذ كنا نقترب من المحطة .

فراد — ان هناك من يعرفه ، ولن يجديه الانتظار فتيلا . (فترة) حين يستدعونك للمثول امام القاضي ، فهل هذه هي القصة التي ستروينها ؟

ليزي — ولكن ما عسى ذلك ان يهمك ؟

فراد — اجيبي .

ليزي — لن اذهب الى القاضي . انا اقول لك انني اكره المشكلات والتعقيدات .

فراد — ولكن يجب ان تذهبي اليه .

ليزي — لن اذهب ، فلست راغبة بعدُ بان تكون لي قضية مع رجال الشرطة .

فراد — سيأتون لأخذك .

ليزي — إذن فسأقول ما رأيته . (فترة)

فراد ـ هل تراك تدركين تماماً ما سوف تفعلينه ؟

ليزي ـ ما الذي سأفعله ؟

فراد ـ ستشهدين ضد ابيض لصالح اسود .

ليزي ـ ما دام الابيض هو المجرم .

فراد ـ ليس هو مجرماً .

ليزي ـ مادام قد قتل ، فهو مجرم .

فراد ـ بم هو مجرم ؟

ليزي ـ بالقتل .

فراد ـ ولكنه انما قتل زنجياً .

ليزي ـ ومعنى ذلك ؟

فراد ـ لو اردنا ان نعتبر مجرماً كل من يقتل زنجياً ..

ليزي ـ لم يكن على حق .

فراد ـ اي حق ؟

ليزي ـ لم يكن على حق .

فراد ـ إنه يأتي من الشمال ، حقكِ هذا . (فترة) سواء كان مجرماً ام لا، فلا تستطيعين ان تعرّضي للعقاب رجلاً من جنسك .

ليزي ـ لا اريد ان اعرّض للعقاب احداً . سيسألونني عما رأيت وسأجيب بما رأيت .

(فتره، ثم يمشي فراد اليها)

فراد ـ ما عساه يكون بينك وبين هذا الزنجي؟ لماذا تحمينه؟

ليزي ـ انني لا اعرفه .

فراد ـ وإذن ؟

ليزي – سأقول الحقيقة .

فراد – الحقيقة ! مومس من ذوات الدولارات العشرة تريد ان تقول الحقيقة ! ليس هناك من حقيقة : هناك بيض وسود وهذا كل شيء . سبعة عشر الف ابيض ، وعشرون الف أسود . اننا لسنا في نيويورك ، هنا : وليس لنا الحق في ان نتسلى ونمزح (فترة) إن توماس هو ابن عمي .

ليزي – ماذا تقول ؟

فراد – ان توماس ، الرجل الذي قتل ، هو ابن عمي .

ليزي (ماخوذة) – آه ؟

فراد – انه رجل خير ؛ هذا لا يعني شيئاً كثيراً في نظرك ، ولكنه رجل خير .

ليزي – رجل خير كان يضغط جسمه طوال الوقت الى جسمي ويحاول ان يرفع ثوبي . تشرفنا برجل الخير ! انه لا يدهشني ان تكونا من اسرة واحدة .

فراد (رافعا يده) – بذيئة ! (يتمالك نفسه) انكِ الشيطان : لا يستطيع الانسان ان يفعل الا الشر مع الشيطان . لقد رفع ثوبك واطلق رصاصه على زنجي قذر ، تلك هي القضية ، ان هذه حركات يأتيها المرء من غير ان يفكر فيها ، فلا يعتد بها ، وانما الذي يعتد به ان توماس هو رئيس .

ليزي – ربما . ولكن الزنجي لم يفعل شيئاً .

فراد – لا بد لزنجي ما من ان يكون قد فعل شيئاً .

ليزي – انني لن اسلم رجلاً الى الشرطة ابداً .

فراد – ان لم يكن هو ، فسيكون توماس . فعلى اي حال ستسلمين احدهما . فاختاري .

ليزي – وهأنذي . انني في الوحل حتى العنق ؛ ينبغي ان اغير (مخاطبة سوارها) ايها القذر المنتن : انك لا تصنع الا هذا ! (ترمي به ارضا) .

فراد – كم تريدين ؟

ليزي – لا اريد فلساً واحداً .

فراد – خمسمئة دولار .

ليزي – لا اريد فلساً واحداً .

فراد – ان ربح خمسمئة دولار يقتضيك اكثر كثيراً من ليلة واحدة .

ليزي – لا سيما اذا كانت القضية مع اشخاص من طرازك . (فترة) فمن اجل هذا اذن اومأت لي مساء امس ؟

فراد – عجباً !

ليزي – من اجل هذا إذن . لقد قلت لنفسك : تلك هي الصبية ، سأرافقها حتى بيتها ثم اساومها . من اجل هذا اذن ! لقد كنت تربت على يدي ملاطفاً، ولكنك كنت بارداً كالثلج . وكنت تتساءل : كيف لي ان اطالعها بذلك ؟ (فترة) ولكن قل لي ، قل لي يا طفلي الصغير.. اذا كنت قد صعدت الى منزلي لتعرض علي مساومتك ، فما كنت بحاجة الى ان تنام معي . اليس كذلك ؟ لماذا نمت معي ايها الدنيء ؟ لماذا نمت معي ؟

فراد – لا ادري وحق الشيطان !

ليزي (تنهار على كرسي وهي تبكي) -- قذر ! قذر ! قذر !

فراد -- خمسمئة دولار ! لا تبكي ، بربك لا تبكي ! خمسمئة دولار ! لاتبكي ! هيا يا ليزي ! كوني عاقلة . خمسمئة دولار !

ليزي (منتحبة) -- انني لست عـاقلة . ولا اريد دولاراتك الخمسمئة ، لا اريد ان اشهد شهادة زور ! اريد ان ارجـع الى نيويورك ، اريد ان اذهب ! اريـد ان اذهب ! (يقرع الجرس فتقف على التو . يقرع الجرس مرة اخرى . بصوت منخفض) ما هذا ؟ اصمت . (قرعة طويلة) لن افتح . احتفظ بهدوئك . (ضرباتعلىالباب)

صوت -- افتحي . الشرطة .

ليزي (بصوت منخفض) -- رجال الشرطة . كان هذا منتظراً . (تشير الى السوار) ان ذلك بسببه (تنحني وتعيد السوار الى معصمها) من الخير ايضاً ان احتفظ به . اختبيء .

(ضربات على الباب)

الصوت -- الشرطة !

ليزي -- ولكن اختبيء . اذهب الى غرفـــة التواليت . (لا يتحرك. تدفعه بكل قواها) هيا اذهب ، اذهب !

الصوت -- هل انت هنا يا فراد ؟ فراد هل انت هنا ؟

فراد -- انني هنا .

(يدفعها ، تنظر اليه مذعورة)

ليزي -- كان هذا من اجل ذلك اذن ؟

(يذهب فراد فيفتح الباب . يدخل جون وجيمس)

المشهد الثالث

ليزي ، فراد ، جون ، جيمس

(يظل باب الدخول مفتوحاً)

جون — الشرطة . هل انت ليزي ماك كاي ؟

ليزي (غير سامعة اياه ، وماضية في النظر الى فراد) من اجـــل هذا اذن !

جون (هازا اياها من كتفها) اجيبي حين تـكلـمين .

ليزي — ماذا ؟ نعم ، انا هي .

جون — اوراقك .

ليزي — (تتمالك نفسها . وبحزم) اي حق لك في ان تسألني ؟ وماذا اتيتما تفعلان في بيتي ؟ (يشير جون الى نجمته) ان بوسع اي انسان ان يضع نجمة . انكما صديقان « للسيد » وقد اتفقتم على ان تساوموني بالتهديد . (يبرز جون بطاقة في وجهها)

جون — اتعرفين هذه ؟

ليزي (مشيرة الى جيمس) وهذا ؟

جون (لجيمس)— ارها بطاقتك . (جيمس يظهر البطاقـة ، فتنظر اليها ليزي ، وتذهب الى الطاولة من غير ان تقول شيئاً ، فتخرج منها اوراقا تعطيها اياها . مشيراً الى فراد) لقـــد سقته الى بيتك مساء امس ؟ اتعلمين ان البغاء هو جنحة ؟

ليزي — هل انتما واثقان تماماً من انه يحق لكما الدخول الى

بيوت الناس من غير تفويض ؟ الا تخشيان ان اسبب لكما مضايقات ؟

جون — لا ينشغلن بالك علينا . (فترة) انما نحن نسألك ان كنت قد سقته الى بيتك .

(يبدو على ليزي انها تغيرت منذ دخول رجلي الشرطة ، فاصبحت اقسى واكثر ابتذالا)

ليزي — لا تجهد نفسك. لقد صحبته بكل تأكيد الى غرفتي. على اني ضاجعته مجاناً ، فهل يكفي ذلك لقطع لسانك !

فراد — ستجد ورقتين من فئـــة العشرة الدولارات على الطاولة . انهما لي .

ليزي — اثبت ذلك .

فراد (من غير ان ينظر اليها ، يقول للآخرين) — لقد اخـذتهما من المصرف صباح امس مع ثمان وعشرين ورقـة اخرى بالرقم المتسلسل نفسه ؛ وليس لك الا ان تتحقق من الارقام .

ليزي (بعنف) لقد رفضتها . لقد رفضت ورقتيه القذرتين وقذفت بهما وجهه .

جون — اذا كان صحيحاً انك رفضتهما ، فكيف نراهما على الطاولة ؟

ليزي (بعد صمت طويل . لقد أخـــذت تنظر الى فـــراد في ذعر ، وبصوت رقيق تقريبا) من اجل هذا اذن ؟ (للآخرين) وبعد ، ماذا تريدان مني ؟

جون — اجلسي (لفراد) هل اطلعتهـــا على الامر ؟

(فراد يومي برأسه) قلت لك ان اجلسي (يدفعها الى مقعد) لقد وافق القاضي على اطلاق سراح توماس اذا حصل على شهادتك مكتوبة . ولقد حررت هذه الشهادة ، فما عليك الا ان توقعيها . وغداً سيجري استنطاقك بصورة رسمية . هل تعرفين القراءة ؟ (ترفع ليزي كتفيها ، فيبسط لها ورقة) اقرأي ووقعي .

ليزي ـ ان هذا زور من البدء حتى النهاية .

جون ـ ربما . وبعد ذلك ؟

ليزي ـ لن اوقع .

فراد ـ خذاها . (لليزي) العقوبة ثمانية عشر شهراً .

ليزي ـ نعم ، ثمانية عشر شهراً . وحين اخرج من السجن ، فسأسلخ جلدك .

فراد ـ الا اذا استطعت منعك من ذلك . (يتبادلان النظر) كان عليكما ان تبرقا الى نيويورك : فأنا اعتقد انها قد واجهت هناك بعض المصاعب .

ليزي (باعجاب) ـ انك دنيء قذر كامرأة ساقطة . وانا لم اكن لأتصور ان بوسع انسان ان يبلغ ما بلغته من قذارة .

جون ـ قرري : هل توقعين ام اسوقك الى السجن ؟

ليزي ـ انني اؤثر السجن . فانا لا أريد ان اكذب .

فراد ـ لا تريدين الكذب ايتها الحقيرة ؟ وماذا تراك فعلت طوال الليل ؟ حين كنت تنادينني : عزيزي ، حبيبي ، رجلي الصغير ؟ الم تكوني تكذبين ؟ وحين كنت تتنهدين لتجعليني اعتقد انني كنت امنحك اللذة ، الم تكوني تكذبين ؟

ليزي (بتحد) ـ هل هذا يسوّي امرك؟ كلا، لم اكن اكذب.

(يتبادلان النظر ، فراد يصرف عنها عينيه) .

فراد ـ لننته من ذلك . هذا هو قلمي . وقّعي .

ليزي ـ بوسعك ان تعيده الى جيبك .

(سكوت . يبدو الارتباك على الرجال الثلاثة)

فراد ـ ها نحن ذا اذن ! والى هنا قد وصلنا ! انه خير رجل في المدينة ، ومع ذلك فان مصيره يتوقف على اهواء امرأة ! (يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ، ثم يعود فجأة الى ليزي) انظري اليه (يريها صورة) لقد رأيتِ رجالاً كثيرين في حياتك الكابة . فهل هناك كثيرون يشبهونه ؟ انظري هذا الجبين ، انظري هذا الذقن ، انظري اوسمته على ثوبه الرسمي . لا ، لا ، لا تصرفي عنه نظرك . إمضي في التطلع حتى النهاية : انه ضحيتك ، وينبغي ان تنظري اليه وجهاً لوجه . انك ترين ما انضر شبابه وما اشد فخره ، وما اجمله ! اطمئني ، فانه اذ يخرج من السجن بعد عشرة اعوام ، فسيكون اشد تحطماً من عجوز ، وسيكون قد فقد شعره واسنانه . بوسعك ان تكوني مسرورة ، فانك عملت عملاً عظيما ! لقد كنت حتى الآن تسلبين المال من الجيوب ؛ أما هذه المرة ، فقد اخترت احسن الناس وها انت تأخذين حياته ، الا تقولين شيئاً ؟ اتكونين منتنة عفنة حتى العظام ؟ (يقسرها على الركوع) على الركبتين ايتها المومس ! على الركبتين ايتها المومس ! على الركبتين امام صورة الرجل الذي تريدين

تلويثه !

(يدخل كلارك من الباب الذي تركوه مفتوحا)

المشهد الرابع

الاشخاص انفسهم مضافاً اليهم عضو مجلس الشيوخ

الشيخ ـ اتركها (لليزي) انهضي .

فراد ـ هالو !

جون ـ هالو !

الشيخ ـ هالو ! هالو !

جون (لليزي) ـ انه الشيخ كلارك .

الشيخ (لليزي) ـ هالو !

ليزي ـ هالو !

الشيخ ـ حسناً . لقد تم التعارف . (ينظر الى ليزي) هذه هي الفتاة اذن . انها تبدو موفورة الود ، قريبة الى النفس .

فراد ـ انها لا تريد ان توقّع .

الشيخ ـ هي على حق تماماً . انكم تدخلون الى دارها من غير ان يكون لكم الحق في ذلك . (اشارة من جون يردها بقوة) من غير ان يكون لكم ادنى حق ، انكم تعاملونها بشراسة

وتريدون انطاقها خلافاً لضميرها . ليست هذه وسائل اميركية . هل اغتصبك الزنجي ، يا ابنتي ؟

ليزي ـ لا .

الشيخ ـ حسناً . هذا امر واضح . انظري الي في عيني . (ينظر اليها) انني على يقين من انها لا تكذب . (فترة) يا لك من مسكينة يا ماري ! (للآخرين) هيا ، يا اولاد ، تعالوا . لم يبق لنا هنا ما نعمله . لم يبق لنا الا ان نعتذر للآنسة .

ليزي ـ من هي ماري ؟

الشيخ ـ ماري ؟ انها اختي ، امّ هذا السيء الحظ توماس . عجوز مسكينة عزيزة ستصاب من هذا الامر بالموت . الى اللقاء يا ابنتي .

ليزي ـ ايها الشيخ !

الشيخ ـ ابنتي ؟

ليزي ـ اني آسفة .

الشيخ ـ علام تأسفين ، ما دمت قد قلت الحقيقة ؟

ليزي ـ آسف ان تكون هذه ... هي الحقيقة .

الشيخ ـ لا حيلة لنا في ذلك ، لا انت ولا انا ، ولا يحق لأحد ان يطلب منك شهادة زور . (فترة) لا ، لا تفكري بعد بها .

ليزي ـ بمن ؟

الشيخ ـ بأختي : الم تكوني تفكرين باختي ؟

ليزي ـ بلى .

الشيخ ـ انني ادرك ما في نفسك يا ابنتي . اتريدين ان اقول لك ما يجول في رأسك ؟ (مقلداً ليزي) « لئن وقعت ، فان الشيخ سيذهب للقائها في بيتها وسيقول لها : ان ليزي ماك كاي فتاة طيبة ، فهي التي ترد لك ابنك » وستبتسم عبر دموعها ، وتقول : « ليزي ماك كاي ؟ انني لن انسى هذا الاسم » وانا التي لا اسرة لها ، والتي دفعها القدر الى هامش « المجتمع » ، ستكون هناك عجوز لطيفة بسيطة تفكر بي في بيتها الكبير ، ستكون هناك ام اميركية ستتبناني في قلبها . » يا لك يا ليزي من مسكينة ! لا تفكرى بذلك بعد .

ليزى ـ هل شعرها أشيب ؟

الشيخ ـ كله اشيب . ولكن الوجه ما زال يحتفظ بنضارته ويا ليتك تعرفين بسمتها ... انها لن تبتسم بعد ابداً . وداعاً . غداً ستنطقين امام القاضي بالحقيقة .

ليزى ـ هل انت ذاهب ؟

الشيخ ـ طبعاً ، انني ذاهب الى دارها . فيجب ان اطلعها على محادثتنا .

ليزي ـ هل تعرف انك هنا ؟

الشيخ ـ لقد اتيت الى هنا نزولاً عند رجائها .

ليزي ـ يا الـهي ! وهل هي تنتظر ؟ وسوف تقول لها انني رفضت ان اوقع ؟ ما اشد ما ستحتقرني !

الشيخ (واضعا يديه على كتفيها) ـ يا ابنتي المسكينة ، انني لا اتمنى ان اكون في مكانك .

ليزي ـ ايةحكاية هـــذه ! (لسوارها) انت سبب كل شيء ايها القذر .

الشيخ ـ ماذا تقولين ؟

ليزي ـ لا شيء (فترة) إن من سوء الحظ ، وقـــد بلغت الامور هذا المبلغ ، الا يكون الزنجي قد اغتصبني بالفعـل .

الشيخ (متأثراً) ـ يا ابنتي .

ليزي (بحزن) كان ذلك يسركم كثيراً ، لو حـدث ، وما كان ليكلفني الا هماً يسيراً .

الشيخ ـ شكراً !(فترة) كم اود لو اساعدك.(فترة)وااسفاه! ان الحقيقة هي الحقيقة .

ليزي (بحزن) ـ هذا صحيح .

الشيخ ـ والحقيقة هي ان الزنجي لم يغتصبك .

ليزي (بالحزن نفسه) هذا صحيح .

الشيخ ـ نعم (فترة) القضية هنا ، بالطبع ، هي قضية حقيقة من الدرجة الاولى .

ليزي (من غير ان تفهم) من الدرجة الاولى ؟...

الشيخ ـ اجل ، عنيت حقيقة ... شعبية .

ليزي ـ شعبية : اليست هي الحقيقة ؟

الشيخ ـ بلى ، بلى ، انها الحقيقة . ولكن ... هنـاك عدة اشكال من الحقائق .

ليزي ـ اتظن ان الزنجي قد اغتصبني ؟

الشيخ ـ لا ، لا ، انه لم يغتصبك. انه من وجهة نظر معينة

لم يغتصبك على الاطلاق . ولكن اسمعي : انا رجل ممن عاش كثيراً ، وغالباً ما اخطأ ، وهو منذ بضعة اعوام يخطيء اقل قليلاً من قبل . وان لي في ذلك كله رأياً يختلف عن رأيك .

ليزي — ولكن اي رأي هو ؟

الشيخ — كيف لي ان اشرح لك ؟ اسمعي : تصوري ان « الامة الاميركية » تبدت لك فجأة . فما الذي ستقوله لك ؟

ليزي (مذعورة) — اظن انه لن يكون لديها شيء كثير تقوله لي .

الشيخ — هل انت شيوعية ؟

ليزي — اية فظاعة : كلا !

الشيخ — واذن ، فان لديها اشياء كثيرة تقولها لك . انها ستقول لك : « لقد بلغت من الأمر يا ليزي ان عليك ان تختاري بين اثنين من ابنائي . يجب ان يختفي هـذا او ذاك . فما الذي يُعمل في مثل هـذه الاحوال ؟ يُحتفظ بالأفضل . واذن ، فلنر ايهما الافضل . هل تريدين ؟ »

ليزي — نعم اريد . اوه ، عفواً ! كنت احسب انك انت الذي كنت تتكلم .

الشيخ — انني اتكلم باسمها (يستأنف) « هـذا الزنجي الذي تحمينه يا ليزي ، ما جدواه ؟ لقد ولد بالمصادفة ، الله يعلم اين ، ولقد غذيته ، فما الذي فعله هو مقابل ذلك ؟ لا شيء على الاطلاق . انه يجرجر اقدامه ويسلب وينهب ويغني ويبتاع الاثواب الوردية والخضراء . انه ابني ، وانا احبه كما احب سائر ابنائي

ولكني اسألك : اتراه يسوق حيـــاة انسان ؟ انني لن احس حتى بموته .»

ليزي ـ ما ابرعك في الكلام !

الشيخ (متابعاً) ـ « اما الآخر ، توماس هذا ، فهو بالعكس قد قتل زنجياً ، وهذا امر رديء جداً . ولكني بحاجة اليه . انه اميركي مئة بالمئة ، سليل اسرة من اعرق اسرنا، تلقـّى دروسه في هارفارد ، وهو صاحب مهنة ـ وانا بحاجة الى اصحاب المهن ـ وهو يستخدم الفي عامل في مصنعه ـ الفي عاطل عن العمل اذا مات ـ انه سيد ، سور حصين يقف في وجه الشيوعية والنقابية واليهود . ان له واجباً ان يعيش ، وان لك انت واجباً ان تحافظي على حياته . هذا كل شي . والآن اختاري »

ليزي ـ ما ابرعك في الكلام !

الشيخ ـ اختاري .

ليزي (منتفضة) ـ ماذا آه نعم ... (فترة) لقد شوشتني ، فلست اعرف بعد اين انا من هذا كله .

الشيخ ـ انظري الي يا ليزي . هل تثقين بي ؟

ليزي ـ نعم ، ايها الشيخ .

الشيخ ـ اتعتقدين ان بوسعي ان انصحك بعمل رديء ؟

ليزي ـ لا ، ايها الشيخ .

الشيخ ـ اذن ، يجب ان توقعي . هذه هي ريشتي .

ليزي ـ اتظن انها ستكون مسرورة مني ؟

الشيخ ـ من ؟

ليزي — اختك .

الشيخ — ستحبك عن بعد كابنتها .

ليزي — ولعلها سترسل لي زهوراً ؟

الشيخ — ان هذا ممكن جداً .

ليزي — او صورتها وعليها توقيعها ؟

الشيخ — هذا ممكن جداً .

ليزي — وسأعلقها على الجدار . (فترة . تسير وهي منفعلة) اية حكاية ! (عائدة الى الشيخ) ماذا ستصنعون بالزنجي ، ان انا وقعت ؟

الشيخ — الزنجي ؟ لا اهميـة لذلك ! (يأخذها من كتفيها) اذا وقعت ، فان المدينة كلهـا ستتبناك . المدينة كلها . جميـع امهات المدينة .

ليزي — ولكن ...

الشيخ — هل تعتقدين ان بالامكان ان تخطيء مـدينة على بكرة ابيها ؟ مدينة بأمرها بمن فيها من اساقفة وخوارنة واطباء ومحامين وفنانين ، ومختار مع تابعيه وجمعياتها الخيرية ؟ هـل تعتقدين ذلك ؟

ليزي — لا . لا . لا .

الشيخ — هـاتي يدك (يقسرها على التوقيع) حسناً . انني اشكرك باسم اختي وابن اختي ، باسم السبعة عشر الفاً من البيض في مدينتنا ، باسم الامة الاميركية التي امثلها في هذه الانحاء . هاتي جبينك . (يقبلها من جبينها) تعـالوا ، انتم الآخرين . (لليزي) سأراك مرة اخرى عند المساء ، فان لنا بعد كلاماً ينبغي ان نقوله

(يخرج) .

فراد (خارجاً) ــ وداعاً يا ليزي .

ليزي ــ وداعاً . (يخرجون. تظل منسحقة، ثم تهرع الى البــاب) ايها الشيخ ! ايها الشيخ ! انني لا اريد ! مزق الورقة ايها الشيخ ! (تعود الى المسرح ، فتأخذ المكنسة الكهربائية بصوره آلية) الامــة الاميركية ! (تدير الالة) يخيل الي انهم خدعوني ! (تشغل المكنسة الكهربائية بغيظ شديد).

ستار

اللوحة الثانية

الديكور نفسه ، بعد اثنتي عشرة ساعة ، المصابيح مضاءة ، والنوافذ مفتوحة على الليل . ضجيج يتعالى رويداً رويداً. يظهر الزنجي على النافذة فيتخطاها ويقفز الى القاعة الخالية . يمشي حتى وسط المسرح . يُقرع الجرس . يختبيء خلف الستار . تخرج ليزي من الحمام . فتتجه الى باب الدخول وتفتحه .

المشهد الاول

ليزي ، عضو مجلس الشيوخ ، الزنجي (مختبئاً)

ليزي – ادخل ! (يدخل الشيخ) ماذا تم ؟

الشيخ – ان توماس هو الآن بين ذراعي امه . وانا آت احمل لك شكرهما .

ليزي – هل هي سعيدة ؟

الشيخ – سعيدة جداً .

ليزي – هل بكت ؟

الشيخ – بكت ؟ ولماذا تبكي ؟ انها امرأة قوية .

ليزي – لقد قلت لي انها ستبكي .

الشيخ – هذه طريقة في الكلام .

ليزي – انها لم تكن تنتظر هذا ، اليس كذلك ؟ لقد كانت تظن اني امرأة رديئة وانني سأشهد لصالح الزنجي .

الشيخ – لقد سلمت امرها الى الله .

ليزي – ماذا عساها تفكر بي ؟

الشيخ — انها تشكرك .
ليزي — ألم تسأل عن خلقتي ؟
الشيخ — لا
ليزي — هل ترى اني فتاة طيبة ؟
الشيخ — هي تفكر انك قمت بواجبك .
ليزي — هكذا اذن ؟
الشيخ — وهي ترجو ان تستمري في القيام به .
ليزي — نعم ، نعم ...
الشيخ — انظري الي ياليزي (يأخذها من الكتفين) هل ستستمرين في القيام به ؟ انك لا تريدين ان تخيبي رجاءها ؟
ليزي — لا تعذب نفسك . ليس باستطاعتي بعد ان اتراجع مما قلته ، والا وضعوني في السجن . (فترة) ما هذه الصيحات ؟
الشيخ — لا شيء .
ليزي — لا استطيع تحملها بعد . (تذهب فتغلق النافذه) ايها الشيخ ؟
الشيخ — يا ولدي ؟
ليزي — هل انت واثق من اننا غير مخطئين ، واني فعلت ما يجب علي فعله ؟
الشيخ — تمام الوثوق .
ليزي — انني لا ادري بعد اين انا من هذا كله ، لقد شوشتني . انك تفكر من اجلي باسرع مما ينبغي . كم الساعة الآن ؟
الشيخ — الحادية عشرة .

ليزي – لا تزال ثمة ثماني ساعات قبل طلوع النهـار . اشعر باني لن استطيـع اغماض عيني (فترة) ان الليـالي مثل النهاوات قيظاً . (فتره) والزنجي ؟

الشيخ – اي زنجي ؟ آه انهم يبحثون عنه .

ليزي – وما تراهم سيفعلون به ! (الشيخ يهز كتفيه . الصيحات تزداد . تذهب ليزي الى النافذه) ولكن ما هذه الصيحات ؟ ان هناك رجالاً يمرون ومعهم مصابيـح كهربائية وكلاب . قل لي ما هذا ايها الشيخ ! قل لي ما هذا !

الشيخ (مخرجاً رسالة من جيبه) ان اختي عهدت الي في ان اسلمك هذا .

ليزي (بحيوية)—هل كتبت لي رسالة ؟ (تفض الظرف ، فتخرج منه ورقة من فئة مئة دولار ، وتبحث لتجد رساله ، فلا تجد . تدعك الظرف وتلقى به ارضاً . تتغير لهجة صوتها) مئة دولار . لا بد انك مسرور : لقد وعدني ابنك بخمسمئة ، فلقد حققتَ اذن وفراً عظيما .

الشيخ – يا بنيتي .

ليزي – ستشكر السيدة اختك وستقول لهـــا انني كنت اؤثر اناء زجاجياً او جوربي نايلون ، شيئاً كانت تهتم باختياره . ولكن المقصد هو الذي يعول عليـه ، اليس كذلك ؟ (فترة) لقد انتصرتَ علي .

(يتبادلان النظر . يدنو الشيخ منها)

الشيخ – انني اشكرك يا بنيتي . اننا نتحدث على خـــلوة بيننا . فانت تجتازين ازمة معنوية وان بك حاجة الى معونتي .

ليزي – ان بي حاجـــة الى المال بخاصة ، ولكن اظن اننا سنتفق ، انت وانا (فترة) كنت الى الآن اؤثر الشيوخ لأنهم يبدون محترمين ؛ ولكني بدأت اتساءل عما اذا لم يكونوا حقـاً صينيين اكثر من الآخرين .

الشيخ (منشرحاً) – صينيين ؟ بودي لو يسمعك زمـلائي . ما اعذب هذه اللهجة الطبيعية ! ان فيـك شيئاً لم تؤثر عليـــه اضطرابات حياتك ! (يلامسها ملاطفاً) أجل ، اجل ، شيء ما . (تدعه يلامسها محتقرة اياه ، غير مبدية حراكاً) انني عائد، لا ترافقيني .

(يخرج،تظل ليزي مسمرة في مكانها.ولكنها تتنـــاول الورقة الماليـــة فتدعكها ، وتقذف بها ارضاً ، ثم ترتمي على كرسي وتأخـذ في النشيج . في الخارج.تقترب الصيحات المزمجرة . طلقات نارية في البعيد . يخرج الزنجي من مخبأه . ينتصب امامها . ترفع رأسها وتطلق صرخة)

المشهد الثاني

ليزي ، الزنجي

ليزي – ها ! (فترة . تنهض) كنت على يقين من انك ستأتي . كنت على يقين من ذلك . من اين دخلت ؟

الزنجي – من النافذة .

ليزي – وماذا تريد ؟

الزنجي – خبئيني .

ليزي – قلت لك !ن لا .

الزنجي – هل تسمعينهم يا سيدتي ؟

ليزي – نعم .

الزنجي – انه الصيد الذي بدأ .

ليزي – اي صيد .

الزنجي – صيد الزنوج .

ليزي – ها ! (فترة طويلة) هـــل انت متأكد من انهم لم يروك تدخل ؟

الزنجي – متأكد .

ليزي – ما الذى سيفعلون بك، اذا قبضوا عليك ؟

الزنجي – البنزين .

ليزى – ماذا ؟

الزنجي – البنزين (يقوم بحركة موضحة) وسيشعلونه .

ليزى – فهمت . (تذهب الى النـــافذة وتزيح الستائر)إجلس (يرتمي الزنجي على كرسي) لقد كان واجباً ان تأتي الى بيتى . اتراني لن انتهى من ذلك كله ؟ (تتجه اليه وهي تكاد تتهدده) انني امقت المشاكل ، اتفهم ؟ (ضاربة الارض بقدمها) انني امقتها ، امقتها !

الزنجى – انهم يعتقدون يا سيدتي انني اسأت اليك .

ليزى – وبعد ذلك ؟

الزنجى – لن يأتوا للبحث عني هنا .

ليزى – أتعرف لماذ هم يطاردونك ؟

الزنجي – لأنهم يعتقدون اني اسأت اليك .

ليزي – وهل تعرف من الذى قال لهم ذلك ؟

الزنجي ـ لا .

ليزي ـ انا . (فترة طويلة . ينظر اليها الزنجي) ما رأيك في هذا ؟

الزنجي ـ لماذا فعلت ذلك يا سيدتي ؟ اوه، لماذا فعلت ذلك؟

ليزي ـ انا نفسى اتساءل .

الزنجي ـ لن تكون في صدورهم اية شفقة ، سيصفعونني بالسوط على عيني ، وسيريقون علي صفائح البنزين . اوه ! لماذا فعلت ذلك ؟ انني لم اسيء اليك .

ليزي ـ اوه ! بلى ، لقد اسأت الي . انت لا تدري الى اي حد اسأت الي ! (فترة) اليس بودك ان تخنقني ؟

الزنجي ـ انهم غالباً ما يقسرون الناس على ان يقولوا عكس ما يفكرون به .

ليزي ـ نعم . غالباً . وحين لا يستطيعون قسرهم على ذلك فانهم يشوشون افكارهم بجزعبلاتهم (فترة) وبعد ؟ فماذا ؟ الا تخنقني ؟ ان لك لطبعاً سمحاً . (فترة) سأخبئك حتى مساء الغد . (يأتي بحركة) لا تمسني : فانا لا احب الزنوج . (صيحات وطلقات نارية في الخارج) انهم يقتربون . (تذهب الى النافذه فتزيح الستائر وتنظر الى الشارع) .

الزنجي ـ ماذا يعملون ؟

ليزي – لقد وضعوا حرساً في طرفي الشارع وهم يتحرون جميع البيوت . لقد كنت بحاجة شديدة لأن تأتي الى هنا . لابد

ان هناك من رآك تدلف الى الشارع (تنظر مرة اخرى) ها هم اولاء. لقد اتى دورنا . انهم صاعدون .

الزنجي ـ كم عددهم ؟

ليزي ـ خمسة او ستة . اما الآخرون فينتظرون تحت . (تعود اليه) لا ترتجف . لا ترتجف ، يا إلـهي ! (فترة ، متحدثة الى سوارها) يا لك من افعى خنزيرة ! (تقذف بها الى الارض وتطأهـا بقدمها) ايتها القذرة ! (الزنجي) كنت بأشد الحاجة للمجيء الى هنا . (ينهض ، ويقوم بحركة تنم عن رغبته في الذهاب) إبق . إنك اذا خرجت قضي عليك .

الزنجي ـ هناك السطوح .

ليزي ـ في ضوء القمر هذا ؟ ان بوسعك ان تقوم بذلك إن كنت مستعداً لأن يجعلوا منك ورقاً مقوّى . (فتره) لننتظر . ان امامهم بيتين يفتشونهما قبل بيتنـــــا . قلت لك الاّ ترتجف . (صمت طويل . تذرع الغرفة جيئة وذهابا . يظل الزنجي منسحقاً على كرسيه) اليس معك سلاح ؟

الزنجي ـ اوه ، لا

ليزي ـ حسناً (تبحث في درج وتخرج منه مسدساً)

الزنجي ـ ما الذي تنوين ان تفعليه يا سيدتي ؟

ليزي ـ سأفتح لهم الباب وارجوهم ان يدخلوا . لقد انقضت خمسة وعشرون عاماً وهم يخدعونني بامهاتهم ذوات الشعر الابيض وبابطال الحرب وبالامة الاميركية . ولكني فهمت . انهم لن يخدعوني حتى النهاية . سأفتح الباب واقول لهم : « انه هنا . انه

هنا، ولكنه لم يفعل شيئاً . لقد استخلصوا مني شهادة مزورة . اقسم بالله العظيم انه لم يفعل شيئاً . »

الزنجي – انهم لن يصدقوك .

ليزي – قد يحدث ذلك ، قد لا يصدقـــوني : اذ ذاك ، ستصوب اليهم فوهة المسدس، فان لم يذهبوا تطلق عليهم النار .

الزنجي – ولكن يأتي سواهم .

ليزي – انك تطلق ايضاً عـلى الآخرين . واذا رأيت ابن عضو مجلس الشيوخ ، فحاول الا تخطئه ، لأنه هو الذي دس كل شيء . لقد حُشرنا ، اليس كذلك ؟ وعلى اي حال ، فان هـذه هي قصتنا الأخيرة ، لأنني اؤكد لك انهم اذا وجدوك عندي ، فانني لن ادفع من ذاتي شيئاً . وعند ذلك ، فخير لنا ان نقتـل معاً (تمد له المسدس) خذ هذا ! اقول لك خذه .

الزنجي – لا استطيـع يا سيدتي .

ليزي – ماذا تقول ؟

الزنجي – لا استطيـع ان اطلق النار على بيض .

ليزي – حقاً ! ان هذا سيزعجهم ...

الزنجي – انهم بيض يا سيدتي .

ليزي – وماذا يعني ذلك ؟ الأنهم بيض يحق لهم ان ينحروك كالخنزير ؟

الزنجي – انهم بيض .

ليزي – ابله ! انك في الحقيقة تشبهني . انك أسخف مني .. ولكن اذا كنا متفقين ...

الزنجي – لماذا لا تطلقين النار ، انت يا سيدتي ؟

ليزى – اقول لك انني سخيفة . (يسمع وقع اقدام في السلم) ها هم اولاء (ضحكة مقتضبة) ان وجهينا مشرقان (فترة) اختفِ في غرفة التواليت . ولا تتحرك . احبس انفاسك .

(يطيع الزنجي . ليزي تنتظر . قرعــة جرس . ترسم اشارة الصليب ، وتتناول السوار من على الارض وتذهب فتفتح الباب . رجال ومعهم بنادق .)

المشهد الثالث

ليزي وثلاثة رجال

الرجل الاول – اننا نبحث عن الزنجي .

ليزي ـ ايّ زنجي ؟

الرجل الاول ـ الزنجي الذى اغتصب امرأة في القطـــار ، والذى جرح ابن اخت عضو مجلس الشيوخ بالموسى .

ليزي ـ ولكن ما عندى يجب ان تفتشوا عنه . (فترة) الا تعرفونني ؟

الرجل الثاني – بلى ، بلى . لقد رأيتك تهبطين من القطار اول من امس .

ليزى ـ حسناً. الواقع انني انا المرأة التي اغتصبها ، اتفهمون؟ (همهمة . ينظرون اليها بعيون ملأى بالذعر والطمع وبــلون من النفور . يتراجعون قليلا) فلئن اتى الى هنا ، فسوف يذوق من هـــذا المسدس ما يذوق . (يضحكون) .

رجل — الا ترغبين في رؤيته وهو يشنق ؟

ليزي — تعالوا الي لتأخذوني حين تجدونه .

رجل — لن يمر على ذلك وقت طويل يا حلوتي : فالمعلوم انه يختبيء في هذا الشارع .

ليزي — حظاً سعيداً .

(يخرجون . تغلق الباب ، ثم تذهب فتضع المسدس على الطاولة)

المشهد الرابع

ليزي ثم الزنجي

ليزي — تستطيع ان تخرج (يخرج الزنجي ، فيركع على ركبتيه ويقبل ذيل ثوبها) قلت لك ان لا تمسني . (تنظر اليه) لا بـد انك شخص ما حتى تلاحقك مدينة برمتها .

الزنجي — تعلمين جيداً يا سيدتي اني لم افعل شيئاً .

ليزي — يقولون ان مجرد كون الانسان زنجياً يعني انـه

عمل شيئاً من غير شك .

الزنجي – لم اعمل شيئاً على الاطلاق . ابداً . ابداً .

ليزي (تمر يدها على جبينها) لا ادري بعد اين انا من هذا كله . (فترة) مهما يكن ، فليس بالامكان ان تكون مدينة برمتها على خطأ . (فترة) بئس الامر ! بتّ لا افهم من ذلك شيئاً .

الزنجي – هو ذلك يا سيدتي . هو ذلك دائماً مع البيض .

ليزي – انت ايضاً ، تشعر بانك مجرم .

الزنجي – اجل يا سيدتي .

ليزي – ومع ذلك فانت لم تفعل شيئاً .

الزنجي – لا ياسيدتي .

ليزي – ولكن ما هو شأنهم حتى تكون السلطات دائماً بجانبهم ؟

الزنجي – انهم بيض .

ليزي – انا كذلك بيضاء . (فترة . صوت اقدام من الخارج) انهم يهبطون . (تقترب منه غريزياً . يرتجف . ولكنه يضع يده حول كتفيها . يتلاشى وقع الاقدام . صمت . تتخلص منه فجأة) آه ، قل اذن ؟ الأننا وحدنا ؟ لكأننا يتيمان . (يقرع الجرس . يتسمعان بصمت . يقرع مرة اخرى) اهرب الى غرفة التواليت .

(طرقات على باب المدخل . الزنجي يختبيء . تذهب ليزي فتفتح)

المشهد الخامس

فراد وليزي

ليزي ـ هل انت مجنون؟ لماذا تقرع بابي ! كلا، لن تدخل، فحسبي ما سببته لي . اذهب ، اذهب ايهاالقذر . اذهب ، اذهب عني ! (يدفعها ويغلق الباب ويأخذها من كتفيها . صمت طويل) وإذن ماذا تريد ؟

فراد ـ إنكِ الشيطان !

ليزي ـ الكي تقول لي هذا ، اقتحمت بابي ؟ اي مخّ ! من اين انت آت ؟ (فترة) اجب .

فراد ـ لقد قبضوا على زنجي . ولكنه لم يكن الزنجي المطلوب . ومع ذلك فقد قتلوه .

ليزي ـ وبعد ذلك ؟

فراد ـ كنت معهم .

ليزي (تصفر ـ فهمت . الكأن رؤيتك الزنجي وهو يعدَم قد أثارت شهوتك .

فراد ـ انني اشتهيك .

ليزي ـ ماذا ؟

فراد ـ انتِ الشيطان ! لقد سحرتني . كنت بينهم، وكان مسدسي في يدي ، وكان الزنجي يتأرجح على غصن . فنظرت اليه وفكرت : انني أشتهيها . ليس هذا طبيعياً .

ليزي – اتركني . اقول لك اتركني .

فراد – ماذا عساه يكون هناك ، تحت ؟ ما الذي صنعت بي ، ايتها الساحرة ؟ كنت انظر الى الزنجي فرأيتك . رأيتك تتأرجحين فوق ألسنة اللهب . فأطلقت .

ليزي – قذر ! اتركني . اتركني ! انك مجرم قاتل !

فراد – ما الذي صنعتِ بي ؟ انك تلتصقين بي التصاق اسناني بلثتي . انني اراك في كل مكان ، ارى بطنك ، بطنك القذر الكاب ، وأشعر بحرارتك في يدي ، ورائحتك تفغم انفي . لقد ركضت الى هنا ركضاً ، ولا ادري ان كان ذلك من اجل ان أقتلك ام من أجل ان امتلكك بالقوة . اما الآن ، فأدري ذلك . (يتركها فجأة) على اني لا استطيع ان اعرض نفسي للهلاك من اجل مومس . (يعود اليها) اصحيح ما قلته لي هذا الصباح ؟

ليزي – ماذا قلت ؟

فراد – انني اشعرتك بمتعة ؟

ليزي – دعني وشأني .

فراد – اقسمي ان ذلك صحيح . اقسمي بذلك ! . (يفتل مقبضها . يسمع صوت في غرفة التواليت) ماذا هناك ؟ (يصغي) هل هناك احد ؟

ليزي – انك مجنون . ليس هناك من احد .

فراد – بلى ، في غرفة التواليت . (يتجه الى غرفة التواليت)

ليزي – لن تدخلها .

فراد – ترين جيداً ان هناك احداً .

ليزي – انه زبوني اليوم . شخص يدفع . هل أنت الآن مسرور ؟

فراد – زبون ؟ لن يكون لك بعد زبائن على الاطلاق . انك لي . (فترة) اريد ان اراه . (يصيح) اخرج من هناك !

ليزي (صائحة) – لا تخرج . ان هذا شَرك .

فراد – يا ابنة المومس (يبعدها بعنف ويتجه الى الباب فيفتحه . يخرج الزنجي) هذا هو زبونك ؟

ليزي – لقد خبأته لأنهم يريدون ان يؤذوه، لا تطلق النار. انك تعلم جيداً انه بريء .

(يطلق فراد مسدسه . يندفع اليه الزنجي فجأة فيدافعه ويخرج . يلحق به فراد . تذهب ليزي الى باب الدخول الذي اختفيا منه وتأخذ في الصياح)

ليزي – انه بريء ! انه بريء (طلقتان ناريتان . ترجع قاسية اللامح . تتجه الى الطاولة ، فتتناول المسدس . يعود فراد . فتلتفت اليه مولية الجمهور ظهرها . وهي تمسك بالمسدس خلفها . يرمي بمسدسه على الطاولة .) لقد ادركته اذن؟ (فراد لا يجيب)حسناً . اما الآن فقد اتى دورك (تصوب اليه مسدسها) .

فراد – ليزي . ان لي أماً .

ليزى – سدّ فمك ! لقد سبق انخدعوني بذلك .

فراد (متجهاً اليها على مهل)–لقد احيا جدي الاول كلارك غابة برمتها وحده ؛ وقد قتل ستة عشر هندياً بيده قبل ان يهلك في كمين ؛ اما ابنه فقد بنى هذه المدينة كلها تقريباً ، وقد كان يتحدث الى « واشنطن » من غير كلفة، ومات في « يوركتاون» من اجل استقلال الولايات المتحدة . وكان جد جدي رئيس

« الحذرين » في سان فرنسيسكو ، فانقذ اثنين وعشرين شخصاً في اثناء الحريق الكبير ، واما جدي فقد عاد ليقيم هنا ، وقد عمل على حفر قناة المسيسبي وكان حاكما للولاية . وان ابي عضو في مجلس الشيوخ ، وسوف اكون شيخاً بعده : اني وريثه الوحيد من الذكور ، وآخر من يحمل اسمي . لقد صنعنا هذه البلاد وان تاريخها هو تاريخنا . وقد كان هناك افراد من اسرة كلارك في الالسكا وفي الفيليبين وفي المكسيك . فهل تجرؤين على ان تطلقي النار على اميركا كلها ؟

ليزي ـ اذا تقدمت خطوة ، اصوّب اليك .

فراد ـ اطلقي ، لماذا لا تطلقين ! اترين؟ أنك لا تستطيعين. ان امرأة مثلك « لا تستطيع » ان تطلق على رجل مثلي . من تكونين ؟ وماذا تفعلين في العالم ؟ هل تعرفين فقط من هو جدك؟ ان لي الحق ، انا ، ان اعيش : ان هناك عملاً كثيراً ينبغي ان اباشره ، وانهم لينتظرونني . اعطيني هذا المسدس . (تعطيه اياه فيضعه في جيبه) اما الزنجي ، فقد كان مسرعاً في ركضه الى حد بالغ فأخطأته . (فترة يحوط كتفيها بذراعه) سأسكنك على الرابية ، بالجانب الآخر من النهر ، في بيت جميل ذي حديقة . وستتنزهين في الحديقة ، ولكني امنعك من الخروج : انني شديد الغيرة . وسآتي لآراك ثلاث مرات في الاسبوع ، عند هبوط الليل : الثلاثاء والخميس وفرصة آخر الاسبوع ، وسوف يكون عندك خدم من الزنوج ومبالغ من المال لم تحلمي بها ، ولكن ينبغي لك ان تستجيبي لجميع رغباتي واهوائي .

وستكون لي رغبات واهواء ! (تستسلم اكثر فاكثر لذراعيه) اصحيح انني اشعرتك بمتعة ؟ اجيبي ، هل هذا صحيح ؟

ليزي (في عياء) ـ نعم ، صحيح .

فراد (مربتاً على خدها) هيا ، لقد عاد كل شيء الى نصابه (فترة) انني أُدعى فراد .

ستار

قريباً

الطبعة الثانية من

الايدي القذرة

مسرحية سارتر الشهيرة

ترجمة سهيل ادريس واميل شويري

وهي الحلقة الاولى من سلسلة

روائع المسرح العالمي

منشورات دار الآداب